البردة
للإمام البوصيري
بهامشها مختصر
شرح شيخ الإسلام
الشيخ ابراهيم الباجوري
مكتبة الصفا
١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٥١٤٧٣٢٠ - ٥١٤٧٩٧٤
٠١٠١٤٣١١١٤

الكواكب الدُّرِّيَّة فى مدح خير البَرِية ﷺ

المعروفة بـ:

البردة

للإمام البوصيرى

ضبطها أحمد على حسن

وعلَّق بهامشها مختصر شرح

شيخ الأزهر

الشيخ إبراهيم الباجورى

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت: ٥١٤٧٩٧٤ - ٥١٤٧٣٢٠

٠١٠١٤٣١١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله على ما آتانا من فضله ونعمه، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله صلاةً تقربنا إلى الله وتجعله عنا راضياً.

وبعــــد ...

فهذه قصيدة «البردة» المباركة للإمام البوصيرى محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصرى، وُلد ببهشيم ٦٠٩ هـ وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ، رُوى أنه أنشأ هذه القصيدة حين أصابه فالج (شلل)، فاستشفع بها إلى الله تعالى، ولمّا نام رأى النبىَّ ﷺ فى منامه، فمسح بيده المباركة بدنه، فعوفى، وخرج من بيته أول النهار، فلقيه بعض الفقراء، فقال: يا سيدى أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحتَ بها رسول الله ﷺ. قال: أى قصيدة؟ قال: التى أوّلها: «أمن تذكر جيران...» فأعطاها له.. وجرى ذكرها بين الناس، وأصبح الناس يتبركون بها ويستشفون بها، على أن الاستشفاء بها ليس استشفاءً بألفاظها، وإنما هو استشفاء برسول الله ﷺ؛ إذ هو بركة الدنيا والآخرة ﷺ.

ولقد تصدَّى لشرح هذه القصيدة الغرَّاء كبار علماء الإسلام ومنهم الشيخ إبراهيم بن محمد الجيزاوي الباجوري رحمه الله شيخ الأزهر الشريف المولود بمصر سنة ١١٩٨ هـ والمتوفى ١٢٧٧ هـ، وشرْحُه شرحٌ عجيب لطيف لا أستطيع له وصفاً، طبعته مكتبة الآداب كاملاً أكثر من مرة فرأيتُ تبسيطاً على المعاصرين من إخوانى فى الإسلام أن أختصر هذا الشرح ملتزماً بألفاظ الشيخ رحمه الله..

أسأل الله أن ينفع بهذا الشرح.. والحمد لله رب العالمين.

أحمد على حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

بُـرْدَةُ المَديـح

أَمِنْ تَـذكُّـرِ جِـيـرانٍ بِذِى سَلَمِ
مَـزَجْتَ دَمْـعاً جَرَى مِنْ مُـقْلَةٍ بِدَمِ [١]

أمْ هَبَّتِ الـرِّيحُ مِن تلْقـاء كـاظِمَـة
وَأَوْمَضَ البَرْقُ فى الظَّلْماءِ مِنْ إِضَمِ [٢]

فـما لِعـينيكَ إنْ قلتَ اكْفُـفـا هَمَتـا
ومـا لقَـلْبِكَ إنْ قلتَ اسْتَـفِقْ يَهِمِ [٣]

أيَحْـسَـبُ الصَّبُّ أنَّ الحبَّ مُنْكَتِمٌ
مـا بَيْنَ مُنْسَـجِمٍ مِنْهُ ومُـضْطَرِمِ [٤]

لوْلا الهَـوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعـاً على طَلَلٍ
ولا أَرِقْتَ لِـذكْـرِ البـانِ والعَلَمِ [٥]

ولا أعـارَتْكَ لَوْنَـىْ عَـبْـرَةٍ وضَنًى
ذِكْرَى الخِيامِ وذِكْـرَى ساكِنِى الخِيَمِ [٦]

فكَيْفَ تُنْكِرُ حُبا بَعْدَ ما شَهِدَتْ

بهِ علَيْكَ عُدولُ الدمْعِ والسَّقَمِ ٧

وأثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّىْ عَبْرَةٍ وضَنًى

مِثْلَ البَهارِ عَلَى خدَّيْكَ والعَنَمِ ٨

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فأرَّقَنى

والحبُّ يَعْتَرِضُ اللّذَّاتِ بِالألَمِ ٩

يا لائِمِى فى الهَوَى العُذْرِىِّ مَعْذرةً

منِّى إلِيكَ ولو أنصَفْتَ لَمْ تَلُمِ ١٠

عَدَتْكَ حالِىَ لا سِرِّى بمُسْتَتِرٍ

عَنِ الوُشاة ولا دائى بمُنْحَسِمِ ١١

مَحَّضْتَنِى النُّصْحَ، لَكِنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ

إنَّ المحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فى صَمَمِ ١٢

إنِّى اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فى عَذَلٍ

والشَّيْبُ أبعَدُ فى نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ ١٣

فـإِنَّ أمّـارَتـى بِالسُّـوءِ مـا اتَّـعَظَتْ

مِنْ جَـهْلِـهَـا بِنَذيرِ الشَّـيْبِ والهَـرَمِ ١٤

وَلا أعَـدَّتْ مِنَ الفِـعْلِ الجَـميلِ قِـرَى

ضَـيْفٍ أَلَمَّ برأسِى غَيْـرَ مُحْتَـشِمِ ١٥

لَوْ كُنْتُ أعلَمُ أنِّى مـــا أوَقِّــرُهُ

كَـتَـمْتُ سِـرّاً بَدَا لِى مِنْهُ بِـالكَتَمِ ١٦

مَنْ لِى بِـرَدِّ جِـماحٍ مِنْ غَـوايَتِـهـا

كـمـا يُرَدُّ جِـمـاحُ الخَـيـلِ بِاللُّجُمِ ١٧

فَـلا تَرُمْ بالمعـاصِى كَـسْرَ شَـهْوَتِها

إنَّ الطَّعَـامَ يُقَـوِّى شَـهْـوَةَ النَّهِمِ ١٨

والنَّفْسُ كالطفْلِ إنْ تُـهْمِلْهُ شَبَّ على

حُبِّ الرَّضَـاعِ وإنْ تَفْطِمْـهُ يَنْفَطِمِ ١٩

فـاصْـرِفْ هَواها وحـاذِرْ أنْ تُوَلِّـيَـهُ

إنَّ الهَـوَى مـا تَوَلَّـى يُصْمِ أوْ يَصِمِ ٢٠

وَراعِـهـا وَهْيَ فى الأعْـمال سـائِمَـةٌ

وإنْ هِيَ اسْتَـحْلَتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِمِ ٢١

كَمْ حَــسَّنَتْ لَـذَّةً لِلْمَــرْءِ قـاتـلَةً

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ فى الدَّسَمِ ٢٢

واخْشَ الدسائِسَ مِنْ جُوعٍ ومِنْ شِبَعٍ

فَـرُبَّ مَـخْمَـصَـةٍ شَـرٌّ مِنَ التُّـخَمِ ٢٣

وَاستَـفْرِغِ الدَّمع مِنْ عَيْنٍ قَد امْـتَلأتْ

مِنَ المحـارِمِ والْـزَمْ حِـمْيَــةَ النَّدَمِ ٢٤

وخالِفِ النفْسَ والشَّيْطَانَ واعْـصِهما

وإنْ هُـمـا مَحَّـضاكَ النُّصْحَ فـاتَّهِمِ ٢٥

وَلا تُطِعْ مِنْهُـما خَـصْـماً ولا حَكَـماً

فأنتَ تَعْـرِفُ كَيْـدَ الخَصْمِ والحَكَمِ ٢٦

أَسْـتَـغْـفِـرُ اللهَ مِنْ قَـوْلٍ بلا عَــمَلٍ

لقَـدْ نَـسَـبْتُ بِهِ نَسْـلاً لِـذِى عُـقُمِ ٢٧

أمَـرْتُكَ الخَـيرَ، لَكِـنْ ما ائْتَـمـرتُ بهِ
وما استَقَمتُ فَـما قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ [٢٨]

ولا تَـزَوَّدْتُ قَـــبْلَ المَوْت نـافلَـةً
ولم أُصَلِّ سِـوَى فَـرْضٍ ولَمْ أصُمِ [٢٩]

ظَلَمْـتُ سُنَّةَ مَنْ أحْـيـا الـظلامَ إلى
أنِ اشْـتكتْ قَدَمـاهُ الضُـرَّ مِنْ ورَمِ [٣٠]

وَشَـدَّ مِـنْ سَـغَبٍ أحْشـاءَهُ وطَوَى
تَحْتَ الحِجارَةِ كَشْـحاً مُتْرَفَ الأدَمِ [٣١]

وراوَدَتْهُ الجِـبـالُ الشُمُّ مِـنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِـه فَـأراها أيَّـما شَـمَمِ [٣٢]

وأكَّـدَتْ زُهْدَهُ فـيـهـا ضَـرورَتُهُ
إنَّ الضَرورَةَ لا تَعْـدُو عَلَى العِصَمِ [٣٣]

وكَـيفَ تَدْعُو إلى الـدنيا ضَـرورَةُ مَنْ
لَوْلاهُ لَمْ تُخْـرَجِ الـدُنيـا مِنَ العَـدَمِ [٣٤]

مُـحَــمَّـدٌ سَـيِّــدُ الكونَيْنِ والثَّــقَلَــ

ــيْنِ والفريقَين مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ ٣٥

نَبِــيُّنا الآمِــرُ النَّاهى فَــلا أَحَــدٌ

أَبَرَّ فى قَـــوْلِ لا مِنْهُ ولا نَعَـمِ ٣٦

هُوَ الحبيبُ الذى تُرْجَى شَفَـاعَتُـهُ

لِكُلِّ هَوْلٍ مِـنَ الأَهْوَالِ مَـقْتَـحَمِ ٣٧

دَعَـا إلى اللهِ فَـالمستَـمْسِكونَ به

مُسْتَمْسِكونَ بِحَبْلٍ غَـيْرِ مُنْفَـصِمِ ٣٨

فَــاقَ الـنَّـبِـيِّـينَ فِى خَلْقٍ وفـى خُلُقٍ

ولَمْ يُدانُوهُ فـى عِلْمٍ ولا كَــرَمِ ٣٩

وكُلُّـهُمْ مِنْ رَسُــولِ اللهِ مُلْـتَــمِسٌ

غَرْفاً مِنَ البَحـرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِيَمِ ٤٠

وواقِــفُــونَ لَدَيْه عِنْدَ حَــدِّهِمُ

مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ ٤١

فَـهْـوَ الـذِى تَمَّ مَـعنـاهُ وصُــورَتُهُ

ثُمَّ اصْطفـاهُ حَـبيبـاً بارِىءُ النَّسَمِ ٤٢

مُنَـزَّهٌ عَنْ شَــرِيكٍ فى مَـــحَـاسِنِه

فَـجَوْهَرُ الحُسْنِ فيـه غَـيرُ مُنْقَسِـمِ ٤٣

دَعْ مـا ادَّعَـتْـه النصـارَى فى نَبِيِّـهِمُ

واحْكُمْ بما شئتَ مَدحاً فيهِ واحْتَكِمِ ٤٤

وانْسُبْ إلى ذاتهِ مـا شئْتَ مِنْ شَرَفٍ

وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شئْتَ مِنْ عِظَمِ ٤٥

فَـــإنَّ فَـــضْلَ رَسُـــولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ

حَـــدٌّ فَـــيُـــعْـــرِبَ عَنْهُ ناطِقٌ بِفَمِ ٤٦

لَوْ نـاســبَتْ قَــدْرَهُ آياتُهُ عِـظَمًـــا

أحْيا اسْمُهُ حينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ ٤٧

لَمْ يَمْتَــحِنَّا بِمَـا تَعْـيـا الـعُـقُـولُ بهِ

حِـرْصـاً علَيْنا فلـم نَرْتَبْ ولَـم نَهِمِ ٤٨

أَعْيا الوَرَى فَهْمُ مَعْناه فَلَيْس يُرَى

فِى القُرْبِ والبُعْدِ فِيه غَيْرُ مُنْفَحِمِ ٤٩

كالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُد

صَغِيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ ٥٠

وكَيْف يُدْرِكُ فى الدُّنيا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بالحُلُمِ ٥١

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ

وأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ الله كُلِّهِمِ ٥٢

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكرامُ بِها

فإنما اتَّصلتْ مِنْ نُورِه بِهِمِ ٥٣

فإنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها

يُظْهِرْنَ أنوارَها للناسِ فِى الظُّلَمِ ٥٤

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِىٍّ زانَهُ خُلُقٌ

بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ ٥٥

كَـالزَّهْرِ فى تَـرَف والبَـدْرِ فى شَـرَف
والبَحـرِ فى كرَمٍ، والدَّهْرِ فى هِمَمِ ٥٦

كَـــأَنَّهُ وهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَـلالتــه
فى عَـسْكرٍ حِينَ تَلقـاهُ وفى حَـشَمِ ٥٧

كـأنَّمـا اللُّـؤْلؤُ المكْنونُ فى صَـدَف
من مَـعْدنَىْ مَنْطـقٍ منْهُ ومُـبْتَـسَمِ ٥٨

لا طِيبَ يَـعْـدِلُ تُرْبـاً ضَمَّ أعْظُمَـهُ
طُوبَـى لمنتَـشِقٍ مِـنْهُ ومُـلْتَـثِمِ ٥٩

أبانَ مَـوْلِدُهُ عَنْ طِـيبِ عُنْصُـرِه
يا طِيبَ مُـفْتَتَحٍ منْهُ ومُـخْـتَـتَمِ ٦٠

يَوْمٌ تَفَـرَّسَ فِـيهِ الـفُرْسُ أنَّهُـمُو
قَـدْ أُنْذِروا بِحُلولِ الـبُؤْسِ والنِّقَمِ ٦١

وباتَ إيوانُ كِسْـرَى، وَهْوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ أصْحابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَئِمِ ٦٢

وَالنارُ خـامِدَةُ الأَنْفـاسِ مِنْ أَسَفٍ

عَلَيهِ، والنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ ٦٣

وَسـاءَ سـاوَةَ أَنْ غـاضَتْ بُحَـيرَتُهـا

ورُدَّ وارِدُها بـالغَـيظِ حِينَ ظَـمِى ٦٤

كـأَنَّ بـالنـارِ مـا بِالمـاءِ مِنْ بَـلَلٍ

حُـزْناً، وبالماءِ مـا بِـالنَّارِ مِنَ ضَـرَمِ ٦٥

والجِنُّ تَهْـتِفُ والأَنْوارُ سـاطِعَـةٌ

والحَقُّ يَظْهَـرُ مِنْ مَـعْنًى ومِنْ كَلِمِ ٦٦

عَـمُوا وصَـمُّوا فَـإِعْلانُ البَشـائِرِ لَمْ

تُسْـمَعْ، وبارِقَـةُ الإِنْذارِ لَـمْ تُشَمِ ٦٧

مِنْ بَعْـدِ مـا أَخْـبَرَ الأَقْـوامَ كـاهِنُهُمْ

بِـأَنَّ دِينَـهُمُ المُعْـوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ ٦٨

وبَعْـدَ ما عـايَنُوا فى الأُفْقِ مِنْ شُـهُبٍ

مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ ما فى الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ ٦٩

حَتَّى غَدا عَنْ طريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ

مِنَ الشَيـاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ ٧٠

كَـأَنَّهُمْ هَرَباً أَبطالُ أَبْرَهَة

أَوْ عَسْكرٌ بالحَصَى مِنْ راحتَيْهِ رُمِى ٧١

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبيحٍ بِبَطْنِهِما

نَبْذَ المُسَبِّحِ مِن أحشاءِ مُلْتَقِمِ ٧٢

جاءتْ لِدَعْوَتِهِ الأشْجارُ ساجِدَةً

تَمشِى إليهِ على ساقٍ بلا قَدَمِ ٧٣

كأنما سَطَرَتْ سطْراً لِما كَتَبَتْ

فُروعُها مِنْ بَديعِ الخَطِّ باللَّقَمِ ٧٤

مِثْلَ الغَمامَةِ أَنَّى سارَ سائِرَةٌ

تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجيرِ حَمِى ٧٥

أَقْسَمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ

مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرورَةَ القَسَمِ ٧٦

وما حَوَى الغارُ من خَيْرٍ ومِنْ كَرَمٍ

وكُلُّ طَرْفٍ من الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي ٧٧

فالصِّدْقُ فى الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما

وهُمْ يَقُولونَ ما بالغارِ مِن أرِمِ ٧٨

ظَنُّوا الحَمامَ وَظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى

خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ ولَمْ تَحُمِ ٧٩

وِقايةُ اللهِ أغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ

مِنَ الدروعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ ٨٠

ما ضامَنِى الدهرُ يوماً واستَجَرْتُ بِهِ

إلاّ ونِلْتُ جِواراً مِنهُ لَمْ يُضَمِ ٨١

ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

إلاّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ ٨٢

لا تُنْكِرِ الوَحْىَ مِنْ رُؤياهُ؛ إنَّ لَهُ

قَلْباً إذا نامَتِ العَيْنانِ لَمْ يَنَمِ ٨٣

وَذاكَ حِينَ بُلوغٍ مِنْ نُبُوَّتِه

فَلَيْسَ يُنْكَرُ فيهِ حالُ مُحْتَلِمِ ٨٤

تَبارَكَ اللهُ ما وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ

ولا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ ٨٥

كَمْ أبرأَتْ وَصِبًا باللَّمْسِ راحَتُهُ

وأطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ ٨٦

وأحْيَتْ السَّنَةَ الشَهْباءَ دَعْوَتُهُ

حَتَى حكَتْ غُرَّةً فى الأعْصُرِ الدُّهُمِ ٨٧

بِعارِضٍ جادَ أوْ خِلْتُ البِطاحَ بِها

سَيْبًا مِنَ الْيَمِّ أوْ سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ ٨٨

دَعْنِى ووَصْفِى آياتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظُهورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ ٨٩

فالْدُّرُّ يَزدادُ حُسْناً وهْوَ مُنْتَظِمٌ

وليس يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنتظِمِ ٩٠

فـــمـــا تَـطاوُلُ آمـــالِ المديـحِ إلى
ما فـيه مِنْ كَـرَمِ الأخلاقِ والشِّـيَمِ ٩١
آياتُ حَقٍّ مِـنَ الرَّحْــمنِ مُــحْــدَثَةٌ
قـديمةٌ صِــفَـةُ الموصـوفِ بـالقِـدَمِ ٩٢
لَمْ تَقْــتَــرِنْ بِزَمــانٍ وهِي تُخْــبِــرُنا
عَنِ المَعَـــادِ وعن عـــادٍ وعن إرَمِ ٩٣
دامَتْ لَدَيْنا فــمـاقتْ كُلَّ مُـعْــجِـزَةٍ
مِنَ النَّبِـيِّينَ إذْ جـــاءتْ ولَمْ تَدُمِ ٩٤
مُـحْكَمَــاتٌ فـمـا تُبْـقِينَ مِـنْ شُبَـهٍ
لذى شِـقـاقٍ ومـا تَبْـغِينَ مِنْ حَكَمِ ٩٥
مـا حُـوربتْ قَـطُّ إلاّ عـادَ مِنْ حَـرَبٍ
أعْدَى الأعـادِي إليهـا مُلْقِيَ السَّلَمِ ٩٦
رَدَّتْ بلاغَـتُـهـا دَعْـوَى مُعـارِضِـهـا
رَدَّ الغَـيـورِ يَدَ الجَـانِي عَنِ الحُـرَمِ ٩٧

لها مَعَانٍ كمَوْجِ البَحْرِ فى مَدَد
وفوْقَ جوْهَرِهِ فى الحُسْنِ والقِيَمِ [٩٨]

فلا تُعَدُّ ولا تُحْصَى عَجائِبُها
ولا تُسامُ على الإكْثارِ بالسَّأَمِ [٩٩]

قَرَّتْ بِها عَيْنُ قاريها فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ الله فاعْتَصِمِ [١٠٠]

إن تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظَى
أطفأْتَ نارَ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ [١٠١]

كأَنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ بِهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جاءُوهُ كالحُمَمِ [١٠٢]

وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعْدِلَةً
فَالقسْطُ مِنْ غَيْرِها فى الناسِ لَمْ يَقُمِ [١٠٣]

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها
تَجاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ [١٠]

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ ١٠٥

يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العافونَ ساحَتَهُ

سَعْياً وفَوْقَ مُتونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ ١٠٦

ومَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرِ

ومَن هو النِّعْمةُ العُظْمَى لِمُغتَنِمِ ١٠٧

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلى حَرَمٍ

كما سَرَى البدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ ١٠٨

وَبِتَّ تَرْقَى إلى أنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً

مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ ١٠٩

وقَدَّمَتْكَ جَميعُ الأنبياءِ بِها

والرُّسْلُ تَقْديمَ مَخْدومٍ عَلَى خَدَمِ ١١٠

وأنتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ

في مَوْكِبٍ كُنْتَ فيه صَاحِبَ العَلَمِ ١١١

حَتَّى إذا لم تدَعْ شأْواً لمُسْتَبِقٍ
مِنَ الدنُوِّ ولا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ ١١٢

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بالإضَافَةِ إذْ
نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ ١١٣

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أيِّ مُسْتَتِرٍ
عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أيِّ مُكْتَتِمِ ١١٤

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وجُزْتَ كُلَّ مَقامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ ١١٥

وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وعَزَّ إدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ ١١٦

بُشْرَى لنا مَعْشَرَ الإسْلامِ إنَّ لنا
مِنَ العنايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ ١١٧

لَمّا دَعا اللهُ داعِينا لطاعَتِه
بِأكْرَمِ الرُّسْلِ كُنّا أكْرَمَ الأمَمِ ١١٨

راعتْ قُلوبَ العِدا أنباءُ بَعْثَتِه

كنَبْئَةِ أجْفَلَتْ غُفْلاً منَ الغَنَمِ ١١٩

ما زالَ يلقاهُمُ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ

حَتَّى حكَوْا بالقَنا لَحْماً على وَضَمِ ١٢٠

وَدُّوا الفَرارَ فكادوا يَغْبِطونَ به

أَشْلاءَ شالتْ مَعَ العِقْبانِ والرَّخَمِ ١٢١

تَمْضِى الليالى ولا يَدرونَ عِدَّتَها

ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِى الأشْهُرِ الحُرُمِ ١٢٢

كأنما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ

بكُلِّ قَرْمٍ إلى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ ١٢٣

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سابِحَةٍ

يَرْمى بِمَوْجٍ مِنَ الأبطالِ مُلْتَطِمِ ١٢٤

مِنْ كُلِّ مُنْتَدبٍ لله مُحْتَسِبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأصِلٍ للكُفْرِ مُصْطَلِمِ ١٢٥

حَتَّى غَـدَتْ مِلَّـةُ الإسْلامِ وَهْىَ بِهِمْ
مِنْ بَعْـدِ غُرْبَتِهَـا موصـولَةَ الرَّحِمِ ١٢٦

مَكْـفُــولَه أبـداً منهُمْ بِـخَـيْــرِ أبٍ
وخَـيْـرِ بَعْلٍ فَـلَمْ تَيْـتَـمْ ولَمْ تَئِمِ ١٢٧

هُمُ الجِبـالُ فَسَلْ عَنْـهُمْ مُصَـادِمَـهُمْ
مـاذا رأى مِنْهُمْ نـى كُلِّ مُـصْطَدَمِ ١٢٨

وَسَلْ حُنَـيْناً وَسَلْ بَـدْراً وَسَلْ أُحُــداً
فُصُولُ حَتْف لَهُمْ أدْهَى مِنَ الوَخَمِ ١٢٩

المُصْدِرِى البيضَ حُمْراً بَعْدَ ما وَرَدَتْ
مِنَ العِـدا كُلَّ مُـسْـوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ ١٣٠

والكاتِبِـينَ بِسُـمْـرِ الخَطِّ مــا تَرَكَتْ
أقْلامُهُمْ حَرْفَ حِـسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ ١٣١

شـاكِّى السِّلاحِ لَـهُمْ سِيما تُمَيِّزُهُمْ
والوَرْدُ يَمْتَـازُ بالسِّـيما عَنِ السَّلَمِ ١٣٢

تُهْـدِى إليكَ رِياحُ النَّصْـرِ نَشْـرَهُمُ

فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فى الأكمام كُلَّ كَمِى ١٣٣

كـأَنَّهُمْ فى ظُهُـورِ الخَـيْلِ نَبْتُ رُباً

مِنْ شِـدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِـدَّةِ الحُزُمِ ١٣٤

طارَتْ قُلوبُ العِـدا مِنْ بَأسِـهِمْ فَرَقـاً

فَـمـا تُـفَـرِّقُ بَيْنَ البَـهْـمِ والبُـهَمِ ١٣٥

وَمَنْ تَـكُنْ بِـرَسُـول الله نُـصْـرَتُهُ

إنْ تَلْقَـهُ الأُسْـدُ فى آجامِـهـا تَجِمِ ١٣٦

وَلَنْ تَرَى مِـنْ وَلِيٍّ غَـيْـرِ مُنْتَصِـرِ

بِهِ ولا مِنْ عَـدُوٍّ غَـيْـرِ مُنْقَـصِمِ ١٣٧

أَحَلَّ أُمَّـتَـهُ فى حِـرْزِ مِلَّتِـهِ

كاللَّيْث حَلَّ مَعَ الأشْبَالِ فى أَجَمِ ١٣٨

كَمْ جَـدَّلَتْ كَلِمـاتُ الله مِـنْ جَـدِلِ

فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرهانُ مِنْ خَصِمِ ١٣٩

كَفـاكَ بِالعِلْمِ فـى الأُمِّىِّ مُـعـجِـزَةً

فى الجـاهِليَّـةِ والتـأديبِ فى اليُـتُمِ ١٤٠

خَـدَمْـتُـهُ بِمَـديحٍ أَسْـتَـقـيلُ بِهِ

ذُنوبَ عُمْرٍ مَضَى فى الشِّعْرِ والخِدَمِ ١٤١

إذْ قَلَّدانِـى مـا تُخْشَى عَـواقِـبُـهُ

كـأَنَّنِى بِهِـمـا هَدْىٌ مِنَ الـنَّعَمِ ١٤٢

أطَعْتُ غَىَّ الصِّبـا فى الحـالتينِ ومـا

حَـصَلْتُ إلاّ على الآثـامِ والنَّدَمِ ١٤٣

فـيـا خَسـارةَ نَفْسٍ فى تِجـارتِـهـا

لم تَشْـتَـرِ الدِّينَ بالدنيـا ولم تَسُمِ ١٤٤

وَمَنْ يَـبِعْ آجِـلاً مِنْهُ بِـعـاجِلِهِ

يَبِنْ لَـهُ الغَـبْنُ فى بَيْعٍ وفـى سَلَمِ ١٤٥

إنْ آتِ ذَنْبـا فـمـا عَـهْـدِى بِمُنْتَقِضٍ

مِنَ النَّبىِّ ولا حَـبْلِى بِـمُنْصَـرِمِ ١٤٦

فَـإِنَّ لى دِمَّـــةً مِنْهُ بتَـسْـمِـيـتى

مُـحَمَّـداً وَهْوَ أوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ ١٤٧

إنْ لَمْ يَكُنْ فى مَـعَـادى آخـذاً بيَـدى

فَـضْـلاً، وإلاّ فَـقُـلْ يا زَلَّةَ القَـدَمِ ١٤٨

حـاشـــاهُ أن يَحْـرِمَ الراجى مَـكارِمَـهُ

أو يُرْجِعَ الجـارَ مِنْهُ غيرَ مُـحْتَـرَمِ ١٤٩

وَمُنْـذُ أَلْزَمْتُ أفـكارِى مَــدائِـحَــهُ

وَجَـدْتُهُ لِخَـلاصِـى خَـيْـرَ مُلْتَـزِمِ ١٥٠

وَلَن يـفُـــوتَ الـغِنَى مِـنْهُ يدًا تَـرِبَتْ

إنَّ الْحَيـا يُنبِتُ الأزهارَ فى الأُكُمِ ١٥١

ولَمْ أُرِدْ زَهرَة الدنـيـا التى اقْـتَـطَفَـتْ

يَدا زُهَـيْــرٍ بمـا أثْنَـى عَلَـى هَرِمِ ١٥٢

يا أكْــرَمَ الـرُّسْلِ مـا لِى مَـنْ ألوذُ بِهِ

سِـواكَ عِنْدَ حُلولِ الحادثِ العَـمَمِ ١٥٣

وَلَنْ يَضِيقَ رسولَ الله جاهُكَ بى

إذا الكريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ ١٥٤

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيا وَضُرَّتَها

ومِنْ عُلومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ ١٥٥

يا نَفْسُ لا تَقْنَطِى مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ

إنَّ الكَبائرَ فى الغُفْرانِ كاللَّمَمِ ١٥٦

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّى حين يَقْسِمُها

تَأْتِى عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ فى القِسَمِ ١٥٧

يا رَبِّ واجْعَلْ رَجائِى غَيْرَ مُنْعَكِسٍ

لَدَيْكَ واجْعَلْ حسابِى غَيْرَ مُنْخَرِمِ ١٥٨

والطُفْ بِعَبْدِكَ فى الدارَيْنِ إنَّ لَهُ

صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأهْوالُ يَنْهَزِمِ ١٥٩

وائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دائِمَةٍ

عَلَى النَّبِىِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ ١٦٠

ما رَنَّحَتْ عَذَباتِ البانِ رِيحُ صَبًا

وأطْرَبَ العِيسَ حادِى العِيسِ بالنَّغَمِ ١٦١

قال الشيخ الباجورى - رحمه الله -:

ويوجد فى بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين، لكن لا بأس بها وهى:

ثُمَّ الرِّضا عن أبى بكر وعَنْ عُمَر
وعَنْ علىٍّ وعن عثمانَ ذى الكَرَمِ

والآلِ والصَّحْبِ ثُمَّ التابعينَ فَهُمْ
أهْلُ التُّقَى والنَّقا والحِلْمِ والكَرَمِ

يا رَبِّ بالمُصطَفَى بَلِّغْ مَقاصِدَنا
واغْفرْ لنا ما مَضَى يا واسعَ الكَرَمِ

واغْفِرْ إلهِى لكل المسلمين بما
يتلون فى المسجد الأقْصَى وفى الحَرَمِ

بجاهِ مَنْ بَيْتُهُ فى طيبَة حَرَمٌ
واسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أعظَمِ القَسَمِ

وهَذِه بُرْدَةُ المخْتار قَدْ خُتِمَتْ
والحَمْدُ لله فى بدْء وفى خَتَمِ

أبياتُهَا قد أتتْ ستين مَعْ مائة
فَرِّجْ بها كَرَبنَاً يا واسِعَ الكَرَمِ

القصيدة المُضَرِيَّة فى الصلاة على خير البرية

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... وَالأنْبِيَا وَجَمِيعِ الرُّسْلِ مَا ذُكِرُوا ١

وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِى وَشِيعَتِهِ ... وَصَحْبِهِ مَنْ لِطَىِّ الدِّينِ قَدْ نَشَرُوا ٢

وَجَاهَدُوا مَعَهُ فِى اللهِ وَاجْتَهَدُوا ... وَهَاجَرُوا وَلَهُ آوَوْا وَقَدْ نَصَرُوا ٣

وَبَيَّنُوا الْفَرْضَ وَالْمَسْنُونَ وَاعتَصَبُوا ... للهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ فَانْتَصَرُوا ٤

أزْكَى صَلاَةٍ وَأنْمَاهَا وَأشْرَفَهَا ... يُعَطِّرُ الْكَوْنَ مِنْهَا نَشْرُهَا الْعَطِرُ ٥

مَعْبُوقَةً بِعَبِيقِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً ... مِنْ طِيبِهَا أرَجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ ٦

عَدَّ الْحَصَى وَالثَّرَى وَالرَّمْلِ يَتْبَعُهَا ... نَجْمُ السَّمَا وَنَبَاتُ الأرْضِ وَالْمَدَرُ ٧

وَعَدَّ وَزْنِ مَثَاقِيلِ الجِبَالِ كَمَا ... يَلِيهِ قَطْرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ ٨

وَعَدَّ مَا حَوَتِ الأشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ ... وَكُلِّ حَرْفٍ غَدَا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ ٩

وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالأسْمَاكِ مَعْ نَعَمٍ ... يَلِيهِمُ الْجِنُّ وَالأمْلاَكُ وَالْبَشَرُ ١٠

وَالْذَّرُّ وَالنَّمْلُ مَعْ جَمْعِ الْحُبُوبِ كَذَا ... وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالأرْيَاشُ وَالوَبَرُ ١١

وَمَا أحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا ... جَرَى بِهِ الْقَلَمُ الْمَأمُورُ وَالْقَدَرُ ١٢

وَعَدَّ نَعْمَائِكَ اللاَّتِى مَنَنْتَ بِهَا ... عَلَى الْخَلاَئِقِ مُذْ كَانُوا وَمُذْ حُشِرُوا ١٣

وَعَدَّ مِقْدَارِهِ السَّامِى الَّذِى شَرُفَتْ ... بِهِ الْنَّبِيُّونَ وَالأمْلاَكُ وَافْتَخَرُوا ١٤

وَعَدَّ مَا كَانَ فِى الأكْوَانِ يَا سَنَدِى ... وَمَا يَكُونُ إلَى أنْ تُبْعَثَ الصُّوَرُ ١٥

فِى كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِهَا ... أهْلُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِينَ أوْ يَذَرُوا ١٦

ملء السموات والأرضين مع جبل ... والفرش والعرش والكرسي وما حصروا ١٧

ما أعدم الله موجوداً وأوجد معـ ... ـدوماً صلاة دواماً ليس تنحصر ١٨

تستغرق العد مع جمع الدهور كما ... تحيط بالحد لا تبقي ولا تذر ١٩

لا غاية وانتهاء يا عظيم لها ... ولا لها أمد يقضى فيعتبر ٢٠

وعد أضعاف ما قد مر من عدد ... مع ضعف أضعافه يا من له القدر ٢١

كما تحب وترضى سيدي وكما ... أمرتنا أن نصلي أنت مقتدر ٢٢

مع السلام كما قد مر من عدد ... ربي وضاعفهما والفضل منتشر ٢٣

وكل ذلك مضروب بحقك في ... أنفاس خلقك إن قلوا وإن كثروا ٢٤

يا رب واغفر لقاريها وسامعها ... والمسلمين جميعاً أينما حضروا ٢٥

ووالدينا وأهلينا وجيرتنا ... وكلنا سيدي للعفو مفتقر ٢٦

وقد أتيت ذنوباً لا عداد لها ... لكن عفوك لا يبقي ولا يذر ٢٧

والهم عن كل ما أبغيه أشغلني ... وقد أتى خاضعاً والقلب منكسر ٢٨

أرجوك يا رب في الدارين ترحمنا ... بجاه من في يديه سبح الحجر ٢٩

يا رب أعظم لنا أجراً ومغفرة ... فإن جودك بحر ليس ينحصر ٣٠

واقض ديوناً لها الأخلاق ضائقة ... وفرج الكرب عنا أنت مقتدر ٣١

وكن لطيفاً بنا في كل نازلة ... لطفاً جميلاً به الأهوال تنحسر ٣٢

بالمصطفى المجتبى خير الأنام ومن ... جلالة نزلت في مدحه السور ٣٣

ثم الصلاة على المختار ما طلعت ... شمس النهار وما قد شعشع القمر ٣٤

ثم الرضا عن أبي بكر خليفته ... من قام من بعده للدين ينتصر ٣٥

وَعَنْ أبى حَفْصٍ الْفَارُوق صَاحِبه مَنْ قولُهُ الْفَصْلُ فِى أحْكَامه عُمَرُ ٣٦

وَجُدْ لعُثْمَانَ ذى النُّورَين مَنْ كَملَتْ لَهُ الْمَحَاسنُ فى الدَّارَيْن وَالظَّفَرُ ٣٧

كَذَا عَلِىٌّ مع ابْنَيْه وأمِّهِمَا أهْلُ الْعَبَاء كَمَا قَدْ جَاءَنَا الْخَبَرُ ٣٨

سَعْدٌ سَعِيدُ بْنُ عَوْف طَلْحَةٌ وَأبُو عُبَيْدَة وَزُبَيْرٌ سَادَةٌ غُرَرُ ٣٩

وَحَمْزَةٌ وكَذَا الْعَبَّاس سَيِّدُنَا ونَجْلُهُ الْحَبْرُ مَنْ زَالَتْ به الْغِيَرُ ٤٠

وَالآلُ والصَّحْبُ وَالأتْبَاعُ قَاطِبَةً مَا جَنَّ لَيْلُ الدَّيَاجِى أوْ بَدَا السَّحَرُ ٤١

القصيدة المحمَّدية للإمام البوصيرى

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأعْرَابِ وَالْعَجَمِ ... مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِى عَلَى قَدَمِ ١

مُحَمَّدٌ بَاسِطُ الْمَعْرُوفِ جَامِعُهُ ... مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ ٢

مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسْلِ اللهِ قَاطِبَةً ... مُحَمَّدٌ صَادِقُ الأَقْوَالِ وَالْكَلِمِ ٣

مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَاقِ حَافِظُهُ ... مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ ٤

مُحَمَّدٌ رُوِيَتْ بِالنُّورِ طِينَتُهُ ... مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُوراً مِنَ الْقِدَمِ ٥

مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ ... مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الإِنْعَامِ وَالْحِكَمِ ٦

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ مِنْ مُضَرٍ ... مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسْلِ اللهِ كُلِّهِمِ ٧

مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقٌّ نَدِينُ بِهِ ... مُحَمَّدٌ مُجْمِلاً حَقًّا عَلَى عَلَمِ ٨

مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رَوْحٌ لأَنْفُسِنَا ... مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرْضٌ عَلَى الأُمَمِ ٩

مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا ... مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغُمَّاتِ وَالظُّلَمِ ١٠

مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ ... مُحَمَّدٌ صَاغَهُ الرَّحْمَنُ بِالنِّعَمِ ١١

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِى وَخِيرَتُهُ ... مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ مِّنْ سَائِرِ التُّهَمِ ١٢

مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلضَّيْفِ مُكْرِمُهُ ... مُحَمَّدٌ جَارُهُ وَاللهِ لَمْ يُضَمِ ١٣

مُحَمَّدٌ طَابَتِ الدُّنْيَا بِبِعْثَتِهِ ... مُحَمَّدٌ جَاءَ بِالآيَاتِ وَالْحِكَمِ ١٤

مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعْثِ النَّاسِ شَافِعُنَا ... مُحَمَّدٌ نُورُهُ الْهَادِى مِنَ الظُّلَمِ ١٥

مُحَمَّدٌ قَائِمٌ للهِ ذُو هِمَمٍ ... مُحَمَّدٌ خَاتَمٌ لِلرُّسْلِ كُلِّهِمِ ١٦

بُـرْدَةُ الَمديـح

أمِنْ تَـذَكُّـرِ جِـيـرانٍ بِذِى سَـلَمِ ... مَـزَجْتَ دَمْعاً جَـرَى مِنْ مُـقْلَةٍ بِدَمِ [1]

أَمْ هَبَّتِ الـرِّيحُ مِن تِلْقـاءِ كـاظِمَـةٍ ... وَأَوْمَضَ البَرقُ فى الظَّلْماءِ مِنْ إِضَمِ [2]

فَـمـا لِعيـنيكَ إنْ قلتَ اكْـفُـفا هَمَـتا ... ومـا لِقَـلْبكَ إنْ قلتَ اسْـتَـفِقْ يَهِمِ [3]

---

(١) (قوله أمن تذكر إلخ) الهمزة للاستفهام، و«من» للتعليل، والمراد بالجيران: المحبوبون، والمراد بذى سلم موضع بين مكة والمدينة، والمزج: الخلط، وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء. والدمع: ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن، ويكون بارداً للسرور، وساخناً للحزن. والجرى: السيلان بشدة، والمقلة: شحمة العين التى تجمع السواد والبياض، والدم: أحد الأمشاج الأربعة التى خُلق منها الإنسان: الماء والهواء والتراب والنار. وفى هذا البيت براعة استهلال؛ لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة فى مدح النبى ﷺ، حيث ذكر فيه المواضع التى بقرب المدينة الشريفة.

(٢) (قوله أم هبت الريح إلخ)، أم: حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين، وواو العطف إما على حقيقتها، أو بمعنى «أو»، وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلأن المحب دائماً يفكر فى محاسن محبوبه، فإذا هبت الريح من جهة موضعه، تخيل أنها حملت روائحه إليه، وأما إيماض البرق من إضم؛ فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة. وهبوب الريح: هيجانها، و«تلقاء» بمعنى حذاء، وكاظمة[1] اسم موضع، والإيماض: اللمعان الخفيف، والظلماء: صفة لموصوف محذوف والتقدير فى الليلة الظلماء، وإضم: اسم لجبل، وقيل اسم لواد بقرب المدينة الشريفة.

(٣) أى إذا صدقتَ فى إنكارك الحب فأى شىء ثبت لعينيك أوجب لهما أنك إن قلت لهما اكففا همتا؟ وأى شىء ثبتَ لقلبك أوجب له أنك إن قلت له استفق يهم؟ «وما» فى الموضعين اسم استفهام، ومعنى اكففا: أمسكا عن البكاء، و«همتا» بمعنى سالتا، أى همتا دمعاً، والقلب: لحم على شكل الصنوبر، وقال بعضهم: القلب سرٌّ وضعه الله فى هذه اللحمة فتسميتها قلباً لحلوله فيها. استفق: أفق. «يهم» مضارع هام يهيم إذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق.

---

(١) قال فى القاموس: هى ريح تقابل الصَّبَا.

أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحبَّ مُنْكَتِمٌ ... ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ [٤]

لوْلا الهوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلٍ ... ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البانِ والعَلَمِ [٥]

ولا أعارَتْكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وضَنًى ... ذِكْرَى الخيامِ وذِكْرَى ساكِنِي الخِيَمِ [٦]

فكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ ما شَهِدَتْ ... به عَلَيْكَ عُدولُ الدمْعِ والسَّقَمِ [٧]

وأثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى ... مِثْلَ البَهارِ عَلَى خَدَّيْكَ والعَنَمِ [٨]

---

(٤) الهمزة للاستفهام الإنكارى، ويحسب: بكسر السين وفتحها أى يظن، والصب: العاشق من قولهم صبَّ الماءَ لأنه لما كان كثير البكاء فكأنه يصب الدمع، وقال بعضهم من «الصبابة» وهى رقَّة العشق وحرارته. و«ما» اسم موصول بمعنى الذى، والمنسجم: السائل، والمضطرم: المشتعل. والمعنى: لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذى هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب، وكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين، وحينئذ فإنكار الحب غلط.

(٥) الهوى: مصدر هوى بكسر الواو: إذا أحب، فهو بمعنى الحب، و«لولا» حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط. وقوله لم ترق دمعاً أى لم تصبّه، والطلل: ما بقى من آثار الدار مرتفعاً، و«على» الداخلة عليه للتعليل أى لأجل طلل، وأرقت بكسر الراء: بمعنى سهرتَ، والبان: شجر طيب الريح، والعلم: يطلق على معان منها الجبل والرمح، أى ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بمحل المحبوب، ويحتمل أنه شبّه المحبوب بهما فى طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة.

(٦) أعارتك: أعطتك على سبيل العارية، لونَيْ عبرة وضنى، والمراد باللونين هنا النوعان، والعبرة بفتح العين: الدموع، والضنى: المرض، وقوله ذكرى: أى تذكر، وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهى بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر.

(٧) و«كيف» حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام على وجه الأنكار، ومعنى تنكر: تجحد، والجحد هو النفى بعد العلم بخلافه قبله. والعدول جمع عدل: مَن لا تُرَدُّ شهادته، والدمع هو الماء الجارى من العين. والسَّقَم بفتحتين: المرض، وإنما ذكر كونهم عدولاً للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطب ردّ شهادتهم.

(٨) الوجد: هو الحزن بسبب الحب، وقيل: نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب. وقوله خَطَّى عَبرة بفتح العين: أى خطين من الدموع، وقوله «وضنى»: عطف على خَطَّى عَبرة لكن على تقدير مضاف، وقوله «مثل البهار إلخ» صفة لكلٍّ من خَطَّيْ العبرة والضنى؛ لأن البهار بفتح الباء الموحدة وردٌ أصفر، وأثر الضنى صفرة الوجه، فأثر الضنى مثل البهار فى =

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فَأرَّقَنِى   وَالحبُّ يَعْتَرِضُ اللّذَّاتِ بِالأَلَمِ [٩]

يا لائِمِى فى الهَوَى العُذْرِىِّ مَعْذِرَةً   مِنِّى إِليكَ ولو أنصَفْتَ لَمْ تَلُمِ [١٠]

عَدَتْكَ حالِىَ لا سِرِّى بِمُسْتَتِرٍ   عَنِ الوُشَاةِ ولا دائِى بِمُنْحَسِمِ [١١]

مَحَّضْتَنِى النُّصْحَ، لَكِنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ   إنَّ المحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فى صَمَمِ [١٢]

= الصفرة. و«العنم» بفتح العين والنون: شجر له أغصان حمر، وقيل ورد أحمر، والخطان من العبرة أحمران لامتزاج الدم بالدمع، فالخطان من العبرة مثل العنم فى الحمرة. والمعنى: وكيف تنكر حباً بعد ما أثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب، فكل من رآك يعرف الحب فى وجهك؟

(٩) لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل إلى الإنكار أقرّ واعترف بذلك، و«نعم» حرف إيجاب لما سبق، «سرى إلىّ» أى سار إلىّ ليلاً لأن السُّرَى هو السير ليلاً. وقوله طيف من أهوى: أى خيال من أحب، و«أهوى» مضارع هوى بكسر الواو بمعنى أحب بخلاف هوى بفتح الواو فإنه بمعنى سقط، وقوله «والحب يعترض اللذات بالألم» أى يدفعها بالألم، يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به، والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلى عن المحبوبين، وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد.

(١٠) «فى الهوى العذرى» أى الهوى المنسوب إلى بنى عذرة بضم العين، وهم قبيلة مشهورة باليمن، يؤدّى بهم العشق إلى الموت لصدقهم فى الحب ورقة قلوبهم، وقوله معذرة: أى أعتذر معذرة أو أقدم معذرة، وقوله «ولو أنصفت لم تلم» أى لأن الحب ليس اختيارياً حتى يلام عليه، بل هو قهرى ولا يلام إلا على الأمر الاختيارى، كما قال القائل:

دع عنك تعنيفى، وذُقْ طعمَ الهوى   فإذا عشقتَ، فبعد ذلك عنِّف

(١١) عدتك حالى إلخ: أى جاوزتك حالى، كما يقول الشخص لغيره: لا أراك اللهُ حالى، ويحتمل أيضاً أنها خبرية، وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله. وقوله: «لا سرى بمستتر عن الوشاة»: السر: ما يكتمه الشخص عن غيره، والوشاة: جمع واش، وهو الذى يشى الحديث بين المحب والمحبوب، أى يزينه ويزخرفه لأجل الإفساد بينهما. قوله: ولا دائى بمنحسم: أى ولا دائى الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته.

(١٢) «محضتنى النصح» إلخ أى: أخلصتَ لى النصح، وقوله: «لكن لست أسمعه» المنفى إنما هو سماع القبول، وإلا فقد يسمعه، وقوله: «إن المحب» إلخ تعليل لقوله لكن لست أسمعه، وقوله: عن العذال: أى عن نصحهم، والعذال جمع عاذل، وهو اللائم فى الحب، والصمم: ضعف

إنّى اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فى عَذَلٍ   والشَّيْبُ أبعَدُ فى نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ [١٣]

فَإنّ أمّارَتى بِالسُّوءِ ما اتّعَظَتْ   مِنْ جَهْلِهَا بِنَذيرِ الشَّيْبِ والهَرَمِ [١٤]

وَلا أعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى   ضَيفٍ ألَمَّ برأسِى غَيْرَ مُحْتَشِمِ [١٥]

لَوْ كُنْتُ أعلَمُ أنّى ما أوَقِّرُهُ   كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِى مِنْهُ بِالكَتَمِ [١٦]

= فى قوة السمع، فوق الوقر[١] ودون الطرش، ودون الصنج[٢]، ولذلك قال الثعالبى: «يقال فى أذنه وقر، فإن زاد فهو صمم، فإن زاد فهو طرش، فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج».

(١٣) فكأن السائل قال له: كيف تتهمنى فى العذل؟ فقال له إنى اتهمت إلخ، أى فإذا اتهمت نصيح الشيب فى عذله علىّ فى الهوى، والحال أن الشيب أبعد عن التهم فى النصح، فكيف بالعاذل الذى ليس أبعد عن التهم فى النصح، بل من شأنه أن يتهم فيه؟ «نصيح الشيب» أى شيباً ناصحاً، وإنما كان الشيب ناصحاً؛ لأنه يدل على قرب الأجل، وحصول الموت الموجب لترك دواعى الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى. وقوله: «فى عذل» متعلق باتهمت أى اتّهمته فى لومه علىّ فى الهوى ودواعى الشباب، وقوله: «والشيب أبعد فى نصح عن التهم»: أى والحال أن الشيب أبعد عن التهم فى النصح.

(١٤) هذا البيت تعليل للبيت قبله. والأمّارة من أنواع النفس، وهى التى تأمر بالمخالفة، فلا يلوح لها طمع إلا فعلته، ولا برزت لها شهوة إلا قضتها، ومنها اللوّامة: وهى التى ترجع باللوم على صاحبها كثيراً عند الوقوع فى المعصية لسابقة القضاء، ومنها المطمئنة: وهى التى اطمأنت للإيمان وللتصديق بوعد الله، فهى دائماً موفقة للطاعة، مصدِّقة بلقاء الله تعالى.

السوء: القبيح. وقوله: «ما اتعظت» خبر إن، أى ما قبلت الوعظ، وقوله: «من جهلها» أى من أجل جهلها، ونذير: إما بمعنى الإنذار فيكون مصدراً، أو بمعنى المنذر، فيكون اسم فاعل.

(١٥) (قوله ولا أعدت إلخ) أى نفسه الأمّارة، والإعداد: التهيئة، وقوله: «من الفعل الجميل» أى من الأعمال الصالحة. وقرى الضيف بكسر القاف: إكرامه، لأنه شبه الشيب بالضيف، فى طروِّه على الشخص بعد أن لم يكن. وقوله ألمّ بتشديد الميم: بمعنى نزل، وقوله برأسى: أى فى رأسى، فالباء بمعنى فى، وقوله غير محتشم: أى غير مستحيى، فالشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت.

(١٦) العلم والمعرفة بمعنى واحد، وقوله: «أنى ما أوقره»: أى أنى ما أعظمه بفعل الجميل وترك =

---

(١) قال فى القاموس المحيط: «الوقر» - بفتح الواو وسكون القاف - ثقل فى الأذن، أو ذهاب السمع كله.

(٢) بفتح الصاد والنون: ذهاب حاسة السمع.

مَنْ لِى بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوايَتِها ... كما يُرَدُّ جِماحُ الخَيلِ باللُّجُمِ [17]

فلا تَرُمْ بالمعاصِى كَسْرَ شَهْوَتِها ... إنَّ الطَّعامَ يُقَوِّى شَهْوةَ النَّهِمِ [18]

والنفسُ كالطفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ [19]

فاصْرِفْ هَواها وحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهُ ... إنَّ الهَوَى ما تَوَلَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ [20]

= القبيح، وقوله: «كتمتُ سراً» أى أخفيته، والمراد بالسر الشيب الذى يظهر أولاً، وقوله: «بدا لى» أى ظهر لى، وقوله: «منه» أى من الشيب، والكتم (بفتح التاء): نبت يخلط بالحناء، ويخضب به الشعر فيبقى لونه. وفى هذا البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقاراً، فقد روى أن أوّل من رأى الشيب إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فقال: ما هذا يا رب؟ فقال الله تعالى: وقار يا إبراهيم، فقال: يا رب زدنى وقاراً، فأصبح وقد عمه الشيب»، وفى الحديث القدسى: «الشيب نورى»[1].

(١٧) «من لى» إلخ أى: من يتكفل لى إلخ؟. وقوله: «برد جماح من غوايتها» أى بصرف قوّة وغلبة ناشئة من ضلالتها، فالجماح بمعنى القوّة والغلبة، والمراد برده صرفه، وغوايتها بفتح الغين المعجمة: بمعنى ضلالتها، أى جماح ناشىء من غوايتها، وقوله: «كما يرد جماح الخيل باللجم» جمع لجام، أى رداً مثل ردّ جماح الخيل باللجم فى القوّة والعنف.

(١٨) «فلا تَرُمْ بالمعاصى» إلخ، أى لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصى دفع شهوتها. شهوة النهم: بتشديد النون وكسر الهاء، الذى هو شديد الشهوة إلى الطعام، فتمكينه منه يزيد فى شهوته إليه، وكذلك النفس تمكينها من المعاصى يزيد فى شهوتها إليها.

(١٩) كالطفل: شبه النفس بالطفل، فكما أن الطفل إن تركته على ما ألفه من الرضاع دام على حبه، وإن منعته عنه امتنع، كما ذكره بقوله: «إن تهمله»، إلخ، كذلك النفس إن تركتها على ما ألفته من المعاصى دامت على حبه، وإن منعتها عنه امتنعت. وقوله: «شب على» أى كبر، وقوله: «وإن تفطمه» فطمت المرأة الرضيعَ فطماً من باب ضرب: فصلته عن الرضاع، فهى فاطمة، والرضيع فطيم.

(٢٠) قوله «فاصرف هواها»: فاصرف النفس عن هواها، وقوله: «وحاذر أن توليه» أى واحذر أن تعطى هواها الولاية والإمارة عليك، وقوله: «ما تولى» أى ما صار والياً، و«ما» شرطية، وقوله: «أو يَصِم» بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه إذا عابه، فالمعنى إن الهوى إن ولاه الشخص =

---

(١) فى كشف الخفا ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى:

«عن أنس، رفعه: يقول الله عز وجل ﴿الشيب نورى والنار خلقى، وأنا أستحى أن أعذب نورى بنارى﴾».

وَراعِـهـا وَهْىَ فى الأعْـمـالِ سائِـمَـةٌ ٢١ وإنْ هِىَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِمِ

كَمْ حَـسَّنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قـاتِـلَةً ٢٢ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فى الدَّسَمِ

واخْشَ الدسائِسَ مِنْ جُوعٍ ومِنْ شِبَعٍ ٢٣ فَـرُبَّ مَـخْمَـصَـةٍ شَـرٌّ مِنَ التُّـخَمِ

= يقتله أو يُعيبه. ولما كان الهوى سبباً للهلاك أجمع على ذمه العارفون، ووردت بذمه الآيات والأحاديث، وقال ابن عباس «الهوى إله يُعبد من دون الله» وتلا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(٢١) «وراعها وهى» إلخ أى لاحظها. سائمة: أى كالبهيمة السائمة فى الكلأ، الأعمال: الأعمال الصالحة، سائمة: بمعنى آخذة ومشتغلة. «وإن هى استحلت المرعى فلا تسم» بضم التاء وكسر السين، أى وإن هى وجدت المرعى حلواً فلا تبقها فيها؛ لأنها لا تميل إلى الطاعة لذاتها، بل لغرض فيها، فتنقلب الطاعة معصية، بل قد تكون أعظم مفسدةً من المعصية، كما يشير لذلك قول صاحب الحِكَم[1]: «رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً».

(٢٢) «كم» خبرية بمعنى كثيراً، والتقدير كم مرة، أى كثيراً من المرات، وقوله «حسّنت لذة للمرء قاتلة» أى عُدَّت لذةٌ قاتلة حسنةً للشخص رجلاً كان أو امرأة، وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله «من حيث لم يدر أن السم فى الدسم»، الدسم: هو الدهن، وخص السم بالذكر لأنه قاتل، وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته، والمراد بالسم هنا حظ النفس، والمراد بالدسم هنا الطاعة.

(٢٣) أى خف المكائد التى تخفيها النفس فى الجوع والشبع؛ فالدسائس من الجوع: كالحدة وسوء الخلق، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة. «فرب مخمصة شر من التخم» إذ رُبَّ مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل. فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط، وتحصل مع كثرة الأكل. وإن كان فيها كسل. و«رب» هنا للتقليل، والمخمصة: المجاعة، والتخم: بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة: وهى فساد المعدة بالطعام.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندرى - رضى الله عنه - من أعلام متصوفى القرن السابع الهجرى توفى عام ٧٠٩هـ - ١٣٠٩م.

والمقصود أن المعصية إذا أعقبتها طاعة وندم على ما فعل: ذل وانكسر صاحبها. فكانت خيراً من طاعة يرى الناس أنها طاعة. وإنما أراد صاحبها تكبراً على عباد الله بإظهار الطاعة. فكانت المعصية التى تورث الطاعة على هذه الصفة خيراً من هذه الطاعة التى ظاهرها رحمة وباطنها عذاب.

وَاستَفْرِغِ الدَّمعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأتْ ... مِنَ الـمَحارِمِ والْزَمْ حِـمْيَـةَ النَّدَمِ [24]

وخالِفِ النفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِـما ... وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ [25]

وَلا تُطِعْ مِنْهُـمـا خَصْماً ولا حَكَماً ... فأنتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ [26]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بلا عَمَلٍ ... لقدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِى عُقُمِ [27]

أَمَرْتُكَ الخَيرَ، لَكِنْ ما ائتَمرتُ بِهِ ... وما اسْتَقمتُ فَما قَوْلِى لَكَ اسْتَقِمِ [28]

---

(٢٤) قوله «واستفرغ الدمع إلخ» أى أفرغ الدمع بالبكاء. وامتلاء العين من المحارم: كناية - عند الفقهاء - عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعاً، وعند الصوفية وأهل الحب: رؤية الأغيار بها. وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء. وقوله: «والزم حمية الندم» أى والزم حماية الندم لك عن المحارم، والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية، وإنما عبَّر بالندم لأنه العمدة فى التوبة، ولذلك ورد: «الندم توبة» قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له».

(٢٥) أى إذا أمرتك نفسك والشيطان بشىء، أو نهتك نفسك والشيطان عن شىء، فخالفهما لأنهما عدوّاك، وإنما قدم النفس على الشيطان لأنها أضرُّ منه، وفتنتها أعظم من فتنته. وقوله: «وإن هما محضاك النصح فاتهم» أى وإن هما أخلصا لك النصح فيما أبدياه لك، كأن يقولا لك تمتع بهذه الشهوة، لكى تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب، أو يقولا لك ارفق على نفسك فى العبادة لتدوم عليها، أو أكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى. أو نحو ذلك، فاتهمهما بأن تنسبهما إلى الخيانة وعدم الإخلاص.

(٢٦) معنى البيت أنه إذا تخاصم العقل مع النفس، وجعلا الشيطان حكماً، أو تخاصم العقل مع الشيطان، وجعلا النفس حكماً، فلا تطع واحداً من النفس والشيطان، لا الخصم ولا الحكم. والخصم هنا قد يكون النفس، والحكم الشيطان، وبالعكس. وقوله «فأنت تعرف كيد الخصم والحكم» أى لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس، وكيد النفس والشيطان أشد.

(٢٧) قوله: «أستغفر الله إلخ» لما كان المصنف معترفاً بأنه غير عامل بقوله، وقد قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣] استغفر من ذلك. وقوله: «لقد نسبت به نسلاً لذى عقم»، أى لقد نسبت بهذا القول نسلاً، وهو الذرية لشخص صاحب عقم، بضم القاف، وهو الذى لا يولد لمثله.

(٢٨) قوله: «أمرتك الخير إلخ» ومراده بالأمر ما يشمل النهى. والخير: ما له عاقبة محمودة. وقوله «لكن ما ائتمرت به» أى لكن ما عملت به. وقوله: «وما استقمت» أى بفعل المأمورات وترك =

ولا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نافِلَةً ... ولم أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَمْ أَصُمِ [٢٩]

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَلامَ إلى ... أنِ اشتكتْ قَدَماهُ الضُرَّ مِنْ وَرَمِ [٣٠]

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشاءَهُ وطَوَى ... تَحْتَ الحجارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ [٣١]

وراوَدَتْهُ الجِبالُ الشُمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فَأَراها أَيَّما شَمَمِ [٣٢]

= المنهيات. وقوله: «فما قولى لك استقم» أى فما ثمرة قولى لك استقم حيث لم أستقم؟ والاستفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا ثمرة له ولا فائدة له.

(٢٩) المراد بالتزوّد هنا العمل، وإنما عبر بالتزوّد نظراً لكون الموت سفراً طويلاً محتوياً على الأهوال والمشاق، والسفر المذكور يناسبه التزوّد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله «نافلة» أى مستقلة، وقد اشتهر أن النافلة يُجبر بها ما نقص من الفرائض. وقوله: «ولم أصل سوى فرض ولم أصم» إنما خص الصلاة والصوم بالذكر؛ لأنهما محض عبادة بدنية، وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا يُتنفل به ولأن الذى يصلى الفرض ويصوم الفرض إنما هو المؤمن، لا الكافر، فلذلك لم يذكر الإيمان لأنه ثابت فى قلبه والحمد لله.

(٣٠) قوله: ظلمت سنة من إلخ» هذا تخلص للشروع فى المقصود، وهو مدحه ﷺ، والسنة: لغةً الطريقة، وشرعاً الطريقة المسلوكة فى الدين من غير افتراض ولا وجوب، و«مَن» واقعة على نبى، وهو نبينا ﷺ. وقوله: «أحيا الظلام» أى أنار الليل المظلم بالصلاة، وقوله: «إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم»، واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام، على وجه المبالغة. والورم: ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعى، وقد روى المغيرة أنه قام ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

(٣١) الشد: العصْب والربط، والسغب: الجوع، و«من» الداخلة عليه للتعليل، والأحشاء جمع حشى، وهو كما فى الصحاح ما انضمت عليه الضلوع، وقيل: القلب، وقيل: الأمعاء، وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة، فتخمد الحرارة بعض خمود، وقد روى الشدَّ مسلم عن أنس قال: «جئتُ رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة، فقالوا: من الجوع». وقوله: «وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم»، الطى: اللف، والكشح: الخاصرة، والمترف: الناعم من الترف، والأدم: الجلد.

(٣٢) قوله: «وراودته الجبال إلخ»، المراودة: المطالبة، يقال راوده: أى طلب منه أن يكون على مراده، وإسناد المراودة للجبال مجاز: والمقصود جبال مكة، كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة، إذ روى أن جبريل عليه السلام نزل عليه ﷺ فقال له: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: أتحب =

وأكَّـدَتْ زُهْدَهُ فـيـهـا ضَـرورَتُهُ   إنَّ الضَرورةَ لا تَعْـدُو عَلَى العِصَمِ ٣٣

وكـيفَ تَدْعُو إلى الـدنيا ضَـرورةُ مَنْ   لَوْلاهُ لَمْ تُخْـرَجِ الدُنيـا مِنَ العَـدَمِ ٣٤

مُـحَـمَّـدٌ سَـيِّـدُ الكوْنَيْـنِ والثَّـقَلَـ   ـيْنِ والفريقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ ٣٥

نَبِـيُّنا الآمِـرُ النَّاهِي فـلا أحَـدٌ   أبَرَّ فـي قَـوْلِ لا مِنْهُ ولا نَـعَمِ ٣٦

= أن تكون لك هذه الجبال ذهباً وفضة، تكون معك حيثما كنت؟ فأطرق ساعة، ثم قال: يا جبريل إن الدنيا دارُ مَن لا دارَ له، ومال من لا مال له، يجمعها من لا عقل له»(١)، فقال له جبريل: ثبتك الله بالقول الثابت».

وقوله الشم: أى المرتفعة وهى جمع أشم. وقوله: «عن نفسه» أى من أجل نفسه، وقوله: «فأراها أيما شمم»: أى فأراها شمماً أيما شمم، أى شمماً عظيماً.

(٣٣) قوله: «وأكدت زهده فيها إلخ» التأكيد: التقوية، والزهد: ترك الشىء وقلة الرغبة فيه، والضمير المجرور بفى راجع للجبال التى تكون من ذهب، والضرورة: شدة الحاجة. وقوله: إن الضرورة إلخ مستأنف أو تعليل. وقوله: لا تعدو على العصم: أى لا تتعدى عليها، يقال عدا عليه أى تعدى عليه، وفى كلامه حذف مضاف؛ أى على ذوى العصم أى المعصومين، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٣٤) قوله: «وكيف تدعو إلخ» استفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا تدعو إلخ، والدعاء: الطلب والميل. وقوله «إلى الدنيا» متعلق بتدعو، والدنيا صفة فى الأصل ثم نقلت إلى الإسمية، فجعلت اسماً لهذه الدار التى نحن فيها. وقوله «لولاه لم تخرج الدنيا من العدم»، أى لولا وجوده ﷺ لاستمرت الدنيا على عدمها، والأصل فى ذلك ما رواه الحاكم، والبيهقى، من قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة، وكان رأى على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله: «سألتنى بحقه أن أغفر لك، وقد غفرت لك، ولولاه ما خلقتك» فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده ﷺ، وآدم أبو البشر، وأبو البشر إنما خلقت الدنيا لأجله، فيكون ﷺ هو السبب فى وجود كل شىء.

(٣٥) قوله: «سيد الكونين» أى أشرف أهل الكونين، والمراد بالكونين الدنيا والآخرة، وقوله: «والثقلين» أى الإنس والجن» وإنما سميا ثقلين لإثقالهم الأرض، أو لثقلهما بالذنوب. والعرب بضم العين وسكون الراء لغةٌ فى العرب بفتحها. والمراد بالعجم: جميع غير العرب.

(٣٦) قوله: «نبينا إلخ»، الإضافة فى نبينا لتشريف المضاف إليه، وقوله: «الآمر الناهى» أى عن الله =

---

(١) رواه الإمام أحمد، والبيهقى عن السيدة عائشة والبيهقى عن عبد الله بن مسعود موقوفاً.

هُوَ الحبيبُ الذى تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأهْوَالِ مُقْتَحَمِ ٣٧

دَعَا إلى اللهِ فالمستمسكونَ بِهِ مُسْتَمْسِكونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ ٣٨

فاقَ النَّبِيِّينَ فِى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ولَمْ يُدانُوهُ فى عِلْمٍ ولا كَرَمِ ٣٩

وكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِنَ البَحرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِيَمِ ٤٠

= تعالى، وقوله: «فلا أحد أبر فى قول لا منه ولا نعم» أى إذا أمر ونهى، فلا أحد أصدق منه فى الأمر والنهى.

(٣٧) قوله: «هو الحبيب» إلخ الضمير راجع لمحمد، أو لنبينا. هو الحبيب: أى لله أو لأمته لأنه أعظم محب لله، وأفضل محبوب له، وهو أيضاً محب لأمته، ومحبوب لها. وقوله: «الذى ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم»: أى الذى تتوقع شفاعته، وهى طلب الخير للغير عند كل هول، والهول: هو الأمر المخوف. وله ﷺ شفاعات، منها شفاعته فى فصل القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار، لشدة الهول، وهذه هى الشفاعة العظمى، وتسمى المقام المحمود؛ لأنه يحمده عليها الأوَّلون والآخرون، وهى مختصة به ﷺ، ومنها شفاعته ﷺ فى دخول جماعة الجنة بغير حساب، ومنها شفاعته ﷺ فى جماعة استحقوا النار، لا يدخلونها، بل يدخلون الجنة، ومنها شفاعته ﷺ فى جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها، وهذه غير مختصة به ﷺ، بل تكون لغيره أيضاً، ومنها شفاعته ﷺ فى رفع درجات إناس فى الجنة، ومنها شفاعته ﷺ فى تخفيف العذاب عن بعض الكفار.

(٣٨) قوله: «دعا إلى الله إلخ» أى دعا إلى دين الله، وقوله «فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم»: المراد من الحبل السبب، كما هو أحد إطلاقيه، والفصم بالفاء: القطع من غير إبانة.

(٣٩) قوله: «فاق النبيين إلخ» أى زاد ﷺ على النبيين. «فى خلق» بفتح الخاء وسكون اللام: وهو الصورة والشكل، وفى خلق بضمهما: وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة؛ كالعلم، والحياء، والجود، والشفقة، والحلم والعدل، والعفة، وأمثال ذلك.

(٤٠) رسول الله: هو سيدنا محمد ﷺ، والمراد من قوله ملتمسٌ: آخذ. وقوله: «غرفا من البحر أو رشفا من الديم»: أى حال كون بعض الملتمسين مغترفاً من البحر، وبعضهم مرتشفاً من الديم، والغرف: مصدر غرف بمعنى أخذ، والرشف: المص. والديم: جمع ديمة وهى المطر الدائم يوماً وليلة من غير رعد(١)، والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه ﷺ.

---

(١) جمع ديمة، قال فى القاموس: والديمة - بالكسر - مطر يدوم فى سكون بلا رعد وبرق.

وواقِــفُــونَ لَدَيْـه عِنْدَ حَــدِّهِمُ مِنْ نُقْطَةِ العَلَمِ أَوْ من شَكْلَةِ الحِكَمِ [٤١]

فَــهْـوَ الـذى تَمَّ مَــعناهُ وصُـورَتُهُ ثُمَّ اصْطفـاهُ حبيبـاً بارِىءُ النَّسَمِ [٤٢]

مُنَزَّهٌ عَنْ شَــرِيكٍ فى مَــحَـاسِنِه فَجَـوْهَرُ الحُسْنِ فيه غَيرُ مُنْقَسِمِ [٤٣]

دَعْ مـا ادَّعَــتْـه النصــارَى فى نَبِيِّـهِمُ واحْكُمْ بما شِئْتَ مَدحـاً فيه واحْتَكِمِ [٤٤]

وانْسُبْ إلى ذاتِـه مـا شِـئْتَ مِـنْ شَـرَفٍ وانْسُبْ إلى قَدْرِه مـا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ [٤٥]

فَــإنَّ فَــضْلَ رَسُــولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَــدٌّ فَـيُـعْـرِبَ عَنْهُ ناطِقٌ بِفَمِ [٤٦]

---

(٤١) معنى كونهم واقفين لديه عند حدهم: أنهم ثابتون عنده ﷺ فى العلم والحكم عند الحدّ الذى حدّه لهم من ذلك فلا يتجاوزونه. وقوله: «من نقطة العلم أو من شكلة الحكم» بيان لحدهم، والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قال بعض الشارحين، وقيل: «المراد بهما علم الله وحكمه»، وإنما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لأن النقطة تميز الحروف المشتبهة الصور، والعلم خاصته التمييز.

(٤٢) معناه: أى كمالاته الباطنية من الخلق، والمراد بصورته: صفاته الظاهرية، وقوله: «ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم»، أى ثم اختاره حبيباً خالق الخلق، والنسم بفتح النون المشددة: جمع نسمة بفتحات، وهى الإنسان.

(٤٣) قوله: «منزه إلخ» أى وهو منزه إلخ. وقوله عن شريك: أى عن كل شريك. وقوله: «فى محاسنه» أى صورةً ومعنًى، وقوله: «فجوهر الحسن» إلخ: المراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته، وقوله: «فيه» أى الكائن فيه، وقوله غير منقسم: أى بينه وبين غيره لاختصاصه به، بخلاف يوسف عليه السلام فإنه أُعطى شطر الحسن.

(٤٤) فى هذا البيت إشارة إلى قوله ﷺ «لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح، ولكن قولوا عبد الله ورسوله»[١]، والمراد بما ادعته النصارى فى نبيهم قولهم بأنه إله، والنصارى هم قوم عيسى. وقوله: «واحكم بما شئت مدحاً فيه»، أى احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه ﷺ ذاتاً وصفات. وقوله: «واحتكم» أى راع الحكمة فى مدحك له ﷺ.

(٤٥) قوله: «ما شئت من شرف» أى الذى شئته من صفات الشرف، وقوله: «وانسُب إلى قدره ما شئت من عظم» أى وانسب إلى كماله الذى شئته من صفات العظم.

(٤٦) هذا البيت تعليل للبيت قبله، فكأنه قال: لأن فضل رسول الله إلخ، وقوله: «ليس له حد» أى =

---

(١) وفى لفظ رواه البخارى: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله».

لَوْ نـاسَـبَتْ قَـدْرَه آياتُهُ عِظَمًا ... أحْيا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ ٤٧

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيا العُقُولُ بِهِ ... حِرْصاً عَلَيْنا فلَم نَرْتَبْ ولَم نَهِمِ ٤٨

أعْيا الوَرَى فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرَى ... فِى القُرْبِ والبُعْدِ فيه غَيْرُ مُنْفَحِمِ ٤٩

كالشَّمْسِ تَظْهَرُ للعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ ٥٠

وكَيْفَ يُدْرِكُ فى الدُّنيا حَقيقَتَهُ ... قَومٌ نِيامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بالحُلُمِ ٥١

= ليس له غاية ومنتهى. وقوله يعرب: أي يفصح، ومعنى «ناطق» متكلم.

(٤٧) قوله: «لو ناسبت إلخ»، لو ناسبت آياته قدره فى العظم لكان من جملة آياته أن يحيى اسمه دارس الرمم حين يدعى به؛ لأن الواقع أن قدره ﷺ أعظم من آياته حتى من القرآن المتلو بخلاف القرآن غير المتلو، وهو المعنى القائم بذاته تعالى، فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من الحادث، والمراد بآياته أعلام نبوّته أى دلائلها، كالمعجزات، وقوله: «أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم» أى أحيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به، و«دارس» بمعنى مدروس، والرمم جمع رمة، وهى الشىء البالى، والمدروسة: التى زيد فى بلائها.

(٤٨) قوله: «لم يمتحنا إلخ» أى لم يختبرنا بشىء تعجز عنه عقولنا، بل أتى بالحنيفية الواضحة، فالامتحان: الاختبار، والعى بالأمر: العجز عنه، وعدم الاهتداء لوجهه. والحرص على الشىء: شدة الرغبة فيه، والارتياب: الشك، والهيام: التحير.

(٤٩) قوله: «أعيا الورى» إلخ، الإعياء: الإعجاز، والورى: الخلق. وقوله: «فهم معناه» أى إدراك حقيقته ﷺ. ويُرى بالبناء للمفعول، وهى بصرية. و«فى» بمعنى «عن». والمنفحم: العاجز. وحاصل المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه فى القرب والبعد منه ﷺ.

(٥٠) قوله: «كالشمس إلخ» أى هو كالشمس إلخ، والمقصود تشبيهه ﷺ بالشمس فى أنه لا يحاط بكنهه وحقيقته فى حالتى القرب والبعد، وقوله: «وتكل الطرف» أى وتعيى البصر وتضعفه لقوّة شعاع نورها، وقوله: «من أمم» أى فى حالة القرب، والأمم بفتح الهمزة: القرب.

(٥١) وكيف: للاستفهام الإنكارى، وهو بمعنى النفى، أى لا يدرك إلخ، واحترز بقوله «فى الدنيا» عن الآخرة، فإنهم يدركون فيها حقيقته ﷺ، والمراد بحقيقته ﷺ قدره ومنزلته، وقوله: «قوم نيام» أى قوم غافلون عن النظر فى حقيقته، والمراد بالقوم جميع الورى، وقوله: «تسلوا عنه بالحلم» بضم اللام: أى اكتفوا عن النظر فى حقيقته تفصيلاً بما يشبه الحلم.

فَـمَـبْلَغُ الـعِلْمِ فِـيـه أَنَّهُ بَشَـرٌ وأَنَّهُ خَـيْـرُ خَلْقِ الله كُلِّهِمِ ٥٢

وَكُلُّ آيٍ أَتَـى الرُّسْـلُ الكِرامُ بِـهـا فـإنما اتَّصلتْ مِنْ نـورِه بِهِـمِ ٥٣

فـإِنَّه شَـمْسُ فَـضْـلٍ هُمْ كـواكِـبُـهـا يُظْهِـرْنَ أَنْوارَها للـناسِ فى الظُّلَمِ ٥٤

أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـىٍّ زانَـهُ خُلُـقٌ بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بـالبِشْرِ مُتَّسِمِ ٥٥

كـالزَّهْرِ فى تَـرَفٍ والبَـدْرِ فى شَـرَفٍ والبَحـرِ فى كَرَمٍ، والدَّهْرِ فى هِمَمِ ٥٦

كـأنهُ وهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَـلالتِـهِ فى عَـسْكرٍ حِينَ تَلقاهُ وفى حَشَمِ ٥٧

---

(٥٢) ما يبلغه علم الناس فى حقه ﷺ: أنه بشر، لا إلـهٌ ولا ملَك، وأنه خير مخلوقات الله كلهم إنساً وجنا وملكاً وغيرهم. والبشر: اسم لبنى آدم، سُموا بذلك لبدوّ بشرتهم، وهى ظاهر الجلد. وخير: أصله «أخير» حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال. والخلق: بمعنى المخلوقات.

(٥٣) قوله: «وكل آى أتى الرسل إلخ»، جمع آية بمعنى المعجزة، والرسل: جمع رسول، والكرام: جمع كريم، والمراد بنوره معجزاته، ويصح حمله على النور المحمدى الذى هو أصل المخلوقات كلها.

(٥٤) أى فإنه كالشمس فى الفضل، وقوله: «هم كواكبها» أى الرسل: كواكب الشمس، أى مثل كواكبها، وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب، فكذلك شريعته ﷺ لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع.

(٥٥) قوله: «أكرم بخلق نبى إلخ» أى ما أكرم خلق نبى إلخ، وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام، وقوله: «زانه خلق» أى حسّنه خلق بضم الخاء واللام، بمعنى زاده حسناً. وقوله: «بالحسن مشتمل بالبشر متسم» أى متصف بالحسن، فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة، متصف بالبشر، وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة: بشاشة الوجه وطلاقته. وحاصل المعنى: ما أحسن صورة نبى حسّنه خلق، متصف بالحسن، متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه.

(٥٦) الزهر: نَور النبات بفتح النون، والترف: بفتح التاء والراء: النعومة، والبدر: هو القمر ليلة كماله، وهى ليلة أربعة عشر. والشرف بفتح الشين والراء: العلو. وكرم البحر مذكور فى قوله تعالى: ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾، والدهر: الزمن، والهمم: جمع همة وهى العزم على الشىء والإرادة له.

(٥٧) وتقدير البيت: كأنه حين تلقاه وهو فرد مثل حاله وهو محاط بجيشه وحشمه، وذلك من مهابته. جلالته: الجلالة: العظمة، والعسكر: الجيش، والحشم: (بفتح الحاء والشين المعجمة): الخدم.

كَـأَنَّمـا اللـؤلؤُ المكنونُ فى صَـدَفٍ مِنْ مَـعْـدِنَىْ مَنْطِقٍ مِنْهُ ومُبْتَسَمِ ٥٨

لا طِيبَ يَـعْـدِلُ تُرْبـاً ضَمَّ أعْظُمَـهُ طُوبَى لمنتَشِقٍ مِنْهُ ومُلْتَثِمِ ٥٩

أبانَ مَـوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ يا طِيبَ مُـفْـتَتَحٍ مِنْهُ ومُـخْـتَتَمِ ٦٠

يَوْمٌ تَفَـرَّسَ فيـهِ الـفُرْسُ أنَّهُـمُو قَـدْ أُنْذِروا بِحُلولِ البُـؤْسِ والنِّقَمِ ٦١

---

(٥٨) شبه اللؤلؤ المكنون فى صدفه بكلامه وثغره ﷺ اللذين يبرزان من معدنى منطقه ومبتسمه، واللؤلؤ: هو الدر المسمى بالجوهر، والمكنون: المصون، والصدف: المحار الذى يتولد فيه، وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه، والمنطق: محل النطق، والمبتسم بفتح السين: محل الابتسام.

(٥٩) لما مدحه ﷺ بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقته الدنيا، مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها، والطيب: ما يُتطيب به من مسك ونحوه، والترب بسكون الراء: لغة فى التراب، والضم: الجمع، والأعظم: جمع عظم، وطوبى: إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ولا يقطعها. وحاصل المعنى: لا طيب يساوى التراب الذى جمع الجسد الشريف، وهو تراب قبره ﷺ، ولما كان الطيب يستعمل على وجهين: تارة يستعمل بالشم، وتارة يستعمل بالتضمخ، أشار للأوّل بقوله: «منتشق» وللثانى بقوله: «ملتثم»، والمراد بالملتثم هنا المعفَّر موضع اللثام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «القبر أوّل منزل من منازل الآخرة، فإما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» ولا شك أن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة، بل أفضلها، وقد قال أيضاً ﷺ: «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة».

(٦٠) مولده: يصلح لأن يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها، والطيب: الخلوص عما لا ينبغى فى النسب، و«العنصر» بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد هو الأصل، والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم. والمراد بالمفتتح بفتح التاءين: مَن فوق آدم عليه السلام، وبالمختتم كذلك: سيدنا عبد الله، خلافاً لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالمفتتح هاشم، وبالمختتم النبى ﷺ. ومن آيات مولده ﷺ ما ذكروه عن أمه أنها قالت: «لقد أخذنى الطلق، وإنى لوحيدة فى المنزل، وعبد المطلب فى طوافه يوم الإثنين، فسمعت وجبةً (أى سقطة) هالتنى، ورأيتُ كأن جناح طير أبيض مسح فؤادى، فذهب رعبى وكلُّ وجع أجده، وكنتُ عطشى فإذا بشربة بيضاء، فشربتها، فأصابنى نور عال» إلى آخر الحديث، وقد ذكره بطوله القسطلانى.

(٦١) تفرس فيه الفرس: أى ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء، وهى قوة يدرك بها الإنسان المعانى اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة. والفرس: بضم الفاء وسكون الراء أهل مملكة فارس، وكانوا مجوساً يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدَّلوه، وإنما سُمُّوا فرساً لأنه وُلد لأبيهم بضعة عشر رجلاً، كلٌّ منهم شجاع فارس، فسُمُّوا الفرس لذلك. وقوله: «أنهموا» بالإشباع، وقوله: «قد أنذروا» أى أعلموا بالبناء للمجهول، وقوله: «بحلول البؤس والنقم» أى بنزول البؤس =

وباتَ إيوانُ كِسْرَى، وَهْوَ مُنْصَدِعٌ　كَشَمْلِ أصْحابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَئِمِ [٦٢]

والنارُ خامِدَةُ الأنْفاسِ مِنْ أسَفٍ　عليه، والنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ [٦٣]

وَساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيرَتُها　ورُدَّ وارِدُها بالغَيظِ حينَ ظَمِي [٦٤]

كأنّ بالنارِ ما بالماءِ مِنْ بَلَلٍ　حُزْناً، وبالماءِ ما بالنَّارِ مِنَ ضَرَمِ [٦٥]

والجِنُّ تَهْتِفُ والأنْوارُ ساطِعَةٌ　والحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى ومِنْ كَلِمِ [٦٦]

= والنقم بهم، والبؤس: هو الشدة المؤثرة فى القلب الهم والحزن، و«النقم» جمع نقمة وهى العقوبة.

(٦٢) أى وبات فى ليلة ولادته ﷺ إيوان كسرى إلخ، والإيوان: بناء يبنى طولاً غير مسدود الوجه، يعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه. وكسرى بكسر الكاف: لقب لكل من ملك الفرس، وقوله: «وهو منصدع» أى والحال أنه منشق شقاً بيِّناً أشرف به على الهدم، ومع انصداعه سقط منه أربع عشرة شرّافة من شرافاته، وكانت اثنتين وعشرين. وقوله: «كشمل أصحاب كسرى» بفتح الشين أى حالهم، وقوله «غير ملتئم» خبر بات.

(٦٣) النار: هى نار الفرس التى كانوا يعبدونها، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام. والأنفاس: جمع نفس بفتح الفاء، والمراد به هنا لهب النار، وقوله: «من أسف» أى من أجل أسف أى شدة الحزن، «عليه»،: جوّز بعض الشارحين أن يكون راجعاً إلى النبى ﷺ. وقوله: «والنهر ساهى العين»: المراد بالنهر: نهر الفرات، والمراد بكونه ساهى العين أنه ساكن العين التى هى مادته عن الجرى، ويحتمل أن فى الكلام استعارة بالكناية، فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهى العين. وقوله: «من سدم» أى من أجل سدم، فمن للتعليل، والسدم بفتح السين والدال: الحزن.

(٦٤) قوله: «وساء ساوة» إلخ أى وساء أهل ساوة إلخ، وساوة اسم لمدينة من مدن الفرس. غاضت: غار ماؤها وذهب بالمرة، والباء فى قوله: «بالغيظ» للملابسة، أو المصاحبة. وحاصل المعنى: وأحزن أهل المدينة المسماة بساوة أمران: أحدهما غيضُ مائها، والثانى ردّ الذى يَرِدها ليستقى منها بالغيظ حين عطش.

(٦٥) قوله: «كأن بالنار»: والأصل كأن ما بالماء بالنار، وما: اسم موصول بمعنى الذى، من بلل: بيان لها. وقوله: «حزنا» أى للحزن، والضرم: الالتهاب. وحاصل المعنى أن النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل، فصارت مبتلة لحزنها، وأن الماء الذى غاض تلك الليلة صار كأن فيه ما بالنار من الضرم لحزنه أيضاً.

(٦٦) أى وصارت الجن تهتف فى الجبال والأودية، والجن: هم أولاد إبليس، كما أن البشر أولاد =

عَـمُوا وصَـمُّـوا فَـإِعْلانُ البَشـائِرِ لَمْ ... تُسْـمَعْ، وبارِقَـةُ الإِنْذارِ لَـمْ تُشَمِ ٦٧

مِنْ بَعْـدِ مـا أَخْبَـرَ الأَقْـوامَ كـاهِنُهُمْ ... بِـأَنَّ دينَـهُمُ المُعْـــوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ ٦٨

وبَعْـدَ مـا عـايَنـوا فى الأُفْقِ مِنْ شُـهُبٍ ... مُنْقَضَّـةٍ وَفْقَ ما فى الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ ٦٩

حَتَّى غَـدا عَنْ طريـقِ الوَحْىِ مُنْهَـزِمٌ ... مِنَ الشَّـياطِين يَـقْـفُـو إِثْرَ مُنْهَـزِمِ ٧٠

= آدم، وقيل: الجن أولاد الجـان، فإبليس أبو الشياطين، والجـان أبو الجن، والقول الأوّل أقوى[١]، والهـتف: قـيل الصـوت مطلقـاً، وقيل الصـوت الخـفى. «والأنوار سـاطعـة» أى والأنوار التى خـرجت معـه ﷺ عند ولادته لامعـة ظاهرة، ففى الحـديث عن آمنة رضى الله تعـالى عنها أنها قالت: «لما ولدته خرج مـن فرجى نور أضاء له قصور الشـأم، فولدته نظيفاً مـا به قذر»، وقوله: «والحق يظهـر من معنى ومـن كلم» أى والحق الذى هو أمره ﷺ من نبـوّته ورسـالته يظهـر من معنى، كالأنوار، ومن كلم كهتف الجن.

(٦٧) عموا وصموا إلخ الضمير فيـها راجع للكفار، لكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى، ولا بما سمعوه من الكلم. وقوله: «فإعلان البشـائر لم تسمع» أى فإظهار البشائر به ﷺ كهتف الجن لم تسـمع لهم سـمـاع قبول، وقـوله: «وبارقـة الإنذار لم تشم»، أى ولامـعـة الإنذار به ﷺ، أى تخويفهم به، كالأنوار لم تُنظر لهم نظر قبول، يقال شام البرق: نظر إليه.

(٦٨) قوله: «من بعـد ما أخبـر» أى من بعد إخبار، والكاهن: من كان له تابع مـن الجن يخبره بخبر السماء، وقوله: «بأن دينهم المعوج لم يقم»، أى بأن ما هم عليه من الدين المعوج، لاشتماله على عبادة الأصنام، لا قيام له، مع وجوده ﷺ.

(٦٩) قوله: «وبعـد ما عاينوا»، والتقـدير عاينوه أى شاهدوه وأبصـروه، وقوله: «فى الأفق»، والمراد به هنا السماء: لا حقيقته، التى هى أطراف السـماء المماسة للأرض لعدم وجود الشهب فى ذلك، وقوله: «من شهب»، جمع شهاب، وهو شعلة من نـار ساطعة، وقوله: «منقضة» أى ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة ليلة ولادته ﷺ. وقوله: «وفق ما فى الأرض» أى مـثل ما فى الأرض فى الانقـضاض والسـقوط. وقـوله: «من صنم» بيان لـها، والصنم: الوثن، وقيل: الصنم ما كان من حجر، والوثن ما كان من غيره كنحاس.

(٧٠) قوله: «حتى غدا» إلخ أى ولـم تـزل الشهب تنقض إلى أن غـدا إلـخ، وغدا: بمعنى صار، وقوله «عن طريق الوحى» طريق الوحى: هو السماء. والـوحى: الكلام الخفـى، والمنهـزم: الهارب، =

---

(١) الأصناف ثلاثة: بنو آدم، والجن، والملائكة: قـال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجـان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» رواه الإمام أحمد والإمام مسلم، وليس هناك صنف رابع اسمه الشياطين، وإنما هم من ذرية إبليس لعنه الله، ولعن كافرهم معه، والجن أجناس وقبائل كما أن بنى آدم أجناس وقبائل.

كـــــأنَّـهُمْ هَـرَبـاً أبـطالُ أبْـرَهَـةٍ أوْ عَسْكرٌ بالحَصَى مِنْ راحَتَيْه رُمِى ٧١

نَبْـذاً بِهِ بَعْـدَ تَسْـبيحٍ بِبَطْنِهِـمـا نَبْـذَ المُسَـبِّحِ مِن أحشاءِ مُلْتَقِمِ ٧٢

جـاءتْ لِدَعْـوَتِهِ الأشْجـارُ ساجِـدَةً تَمشِى إليـهِ عـلى ساقٍ بلا قَـدَمِ ٧٣

كـأنما سَطَرَتْ سطْـراً لِمـا كـتـبَتْ فُـروعُـهـا مِنْ بَديعِ الخَطِّ بـاللَّقَمِ ٧٤

مِـثْلَ الغَـمـامَـةِ أنَّى سـارَ سـائِرَةٌ تَقِـيهِ حَرَّ وَطيسٍ لِلهَجـيرِ حَـمِى ٧٥

= وقوله: «من الشياطين» بيان لمنهزم، وقوله: «يقفو إثر منهزم» أى يتبع أثر هارب آخر. وحاصل المعنى: ولم تزل الشهب تنقض إلى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التى هى طريق الوحى يتبع أثر هارب آخر، وهلم جرا.

(٧١) قوله: «كأنهم هرباً» إلخ الضمير للشياطين. والأبطال: جمع بطل، وهو الشجاع القوى جداً. وأبرهة: بالصرف للضرورة الشعرية: ملك اليمن. والعسكر: الجيش، والحصى: حجارة صغيرة صلبة. والراحتان: بطنا الكف. ورمى الحصى كان فى غزوة بدر.

(٧٢) قوله: «نبذًا به» إلخ أى نبذه ﷺ نبذاً إلخ، وقوله: «به» أى بالحصى، الحصى المرمى به سبح فى كفيه ﷺ. وقوله: «نبذ المسبح من أحشاء ملتقم» أى كنبذ المسبح، الذى هو يونس عليه السلام، من أحشاء الملتقم له، والأحشاء: ما انضمت عليه الأضلاع، وقيل: الأمعاء. والملتقم له هو الحوت، قال الله تعالى: ﴿فالتقمه الحوت وهو مُليم﴾.

(٧٣) قوله: «جاءت لدعوته الأشجار إلخ» أى أتت لطلبه الأشجار إلخ، وقوله: «ساجدة»، والمراد بالسجود هنا معناه اللغوى، وهو الخضوع، والساق: ما تحت الفروع من الشجرة، وقوله: «بلا قدم» صفة للساق، أو متعلق بتمشى، وأشار بذلك لما روى أن أعرابياً سأل النبى ﷺ آية، فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك، فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، حتى قطعت عروقها، ثم جاءت تجر عروقها فى الأرض، فوقفت بين يديه، وقالت: السلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابى: مُرها فلترجع إلى منبتها، فأمرها فرجعت، ودلت عروقها فى منبتها فاستوت فيه[1].

(٧٤) المعنى: كأنما سطرت تلك الأشجار فى حال مشيها سطراً للذى كتبته فروعها، وهو الخط البديع، أى الذى لم يعهد مثله، المرسوم فى اللقم، اللقم: بفتح اللام والقاف: وسط الطريق لكونها مشت مشى استقامة.

(٧٥) قوله: «مثل الغمامة» إلخ أى هى مثل الغمامة: السحابة. وقوله: «أنى سار سائرة» أى فى أى =

---

(١) القصة بطولها فى كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضى عياض رحمه الله تعالى فى فصل المعجزات.

أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرورَةَ القَسَمِ ٧٦

وما حَوَى الغارُ مِنْ خَيرٍ ومِنْ كَرَمٍ وكُلُّ طَرْفٍ مِنْ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِى ٧٧

= موضع سار هى سائرة، وقوله: «حر وطيس» أى حر الشمس الشبيهة بالوطيس فى الحرارة، وقوله: «للهجير» أى عند الهجير، والهجير والهاجرة بمعنى واحد: وهو وسط النهار إذا كان حاراً. وقوله: «حمى» يصح جعله فعلاً ماضياً فتكون الجملة صفة لوطيس، أو فى موضع الحال من الهجير، أى حال كونه قد حمى، ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حام. وهذا البيت إشارة إلى ما روى من أنَّ أبا طالب خرج إلى الشأم ومعه النبى ﷺ فى أشياخ من قريش، إلى أن أشرفوا على بَحيراً الراهب، وكان فى صومعته، فنزلوا عنده وحطوا رحالهم، وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج إليهم، وفى هذه المرة خرج إليهم، وجعل يتخللهم حتى جاء للنبى ﷺ فقال: هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذى يبعثه رحمة للعالمين، فقال له أشياخ قريش: وما أعلمك بهذا؟ فقال: إنكم من حين أشرفتم من مكة والغمامة تظلله فوق رأسه.

(٧٦) قوله: «أقسمت بالقمر» إلخ أى أقسمت برب القمر إلخ، وقوله: «المنشق» أى الذى انشق آيةً له ﷺ؛ لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين، فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» فقال كفار قريش: قد سحرنا محمد، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، فقال كفار قريش: هذا سحر مستمر، فنزل قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾ [القمر: ١، ٢][1]، والمراد بالنسبة: المناسبة والمشابهة فى الانشقاق، وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات، وقد جمعها بعضهم فى قوله:

وشُقَّ صدرُ المصطفى وهو فى دار بنى سعد بلا مرية
كشقِّه وهو ابن عشر، ثم فى ليلة معراج، وعند البعثة

وقوله: «مبرورة القسم» أى أن القسم عليها مبرور فيه، يقال برّ فى يمينه إذا صدق فيها.

(٧٧) الغار: ثقب فى الجبل، وكان فى جبل ثور بأسفل مكة، وقوله: «من خير ومن كرم» بيان لما حوى الغار، وكلٌّ منهما لكل من النبى ﷺ ومن أبى بكر، ويحتمل أن الأوّل للنبى ﷺ، والثانى لأبى بكر، وعلى هذا فإنما خصّه بالكرم لأنه آثر رسولَ الله ﷺ بنفسه وماله، ولذلك لما أتيا إلى الغار تقدم أبو بكر فى الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذى، فيتلقاه عن رسول الله ﷺ. وقوله: «وكل طرف» إلخ أى والحال أن كل طرف إلخ، فالواو للحال، والطرف بسكون الراء هو البصر. قوله «عنه» أى عن ما حوى الغار، وقوله: «عمى» يحتمل جعله فعلاً، وجعله اسماً. =

---

(١) وانشقاق القمر له ﷺ لا يعارض فيه إلا مكابر؛ لأن الحديث مروى فى أغلب كتب الحديث، وأولها البخارى، كما ذكر ذلك صاحب «الشفا»، والقرآن صريح فى ذلك.

فالصِّدْقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما ... وهُمْ يَقولونَ ما بالغارِ من أرِمِ [٧٨]

ظَنُّوا الحَمامَ وَظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى ... خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ [٧٩]

وِقايةُ اللهِ أغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ ... مِنَ الدروعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ [٨٠]

ما ضامَنِي الدهْرُ يوماً واستَجَرْتُ بِهِ ... إلاّ ونِلْتُ جِواراً مِنهُ لَمْ يُضَمِ [٨١]

ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إلاّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ [٨٢]

= وقد لبث النبى وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال، وجاء الكفار حوالىْ الغار ينظرون، فأعماهم الله تعالى عنهما.

(٧٨) قوله: «فالصدق» إلخ أى فذو الصدق، أو يؤوّل الصدق بالصادق، وقوله «والصديق»: أى فى الغار، وقوله «لم يرما بكسر الراء» أى لم يبرحا، وأصله يريما، حذفت منه الياء. وقوله «وهم يقولون» أى والحال أنهم يقولون إلخ، والضمير راجع للكفار. «ما بالغار من أرم»، وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد، أى ليس فى الغار شىء.

(٧٩) قوله «ظنوا الحمام» إلخ هذا البيت كالتعليل لما قبله، كما علمت، وقوله «على خير البرية»، البرية: الخلق، وخيرهم: محمد ﷺ، وقوله «لم تنسج» بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت، وقوله «ولم تحم» بضم الحاء راجع للحمام، وسبب ظنهم ذلك أن هذين الحيوانين متى أحسا بالإنسان فرّا منه، ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه.

(٨٠) قوله «وقاية الله» إلخ أى حفظ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعاً فوق درع للحفظ من العدو، أو أن تنسج الدرع حلقتين، وقوله «وعن عال من الأطم» أى: وأغنت عن عال من الحصون.

(٨١) قوله «ما ضامنى الدهر يوماً» إلخ أى ما ظلمنى الدهر فى يوم إلخ، وقوله «واستجرت به» أى طلبت منه أن يجيرنى من ذلك، وقوله «إلا ونلت جواراً منه» أى إلا وأعطيت جواراً بكسر الجيم وضمها أى حِمى وحفظاً، وقوله «لم يُضم» بالبناء للمجهول أى لم يحتقر، بل يحترم.

(٨٢) «ولا التمست»: الالتماس: الطلب بخضوع وذلة. وقوله «غنى الدارين»: أى دارَى الدنيا والآخرة، والغنى فى الأولى بالكفاية، وفى الثانية بالسلامة من العذاب. وقوله «من يده» أى من نعمته ﷺ، وقوله «إلا استلمت» أى إلا أخذت، وقوله «الندى» بفتح النون مع القصر هو العطاء والكرم، وقوله «من خير مستلم» بفتح اللام، أى من خير مستلَمٍ منه، وإنما كان ﷺ خير مستلم منه لأنه لا يردّ سائله.

لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْياهُ؛ إنَّ لَهُ قَلْباً إذا نامَت العَيْنانِ لَمْ يَنَمِ ٨٣

وَذاكَ حِينَ بُلوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فيهِ حالُ مُحْتَلِمِ ٨٤

تَبارَكَ اللهُ ما وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ ولا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ ٨٥

---

(٨٣) أي لا تنكر الوحى حال كونه مبتدأ من رؤياه فى النوم؛ فإن بدء الوحى كان بالرؤيا الصالحة فى النوم، وكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وقوله «إن له قلبا» إلخ تعليل لما قبله، أى إن له ﷺ قلباً له اليقظة الدائمة، وقد ورد فى الصحيحين: «إن عينىَّ تنامان ولا ينام قلبى».

(٨٤) قوله «وذاك»: اسم الإشارة راجع للوحى من رؤياه فى النوم، وقوله «حين بلوغ من نبوّته» أى حين وصول إلى نبوّته. والمراد بحال المحتلم: الوحى من رؤياه فى النوم؛ لأن المحتلم هو النائم، وحاله: ما يراه فى نومه، والحاصل أن ذلك إنما كان فى ابتداء النبوة، وقد نُبِّىء على رأس أربعين سنة، وذلك حدّ مبدأ النبوة.

(٨٥) تبارك الله: تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علواً كبيراً، وقوله «ما وحى بمكتسب» أى ليس وحى، وإن قلّ، بمكتسب لأحد بسعيه فيه، فالذى عليه أهل الحق أن الوحى ليس مكتسباً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤][(١)]. وقوله: «ولا نبى على غيب بمتهم» أى ولا نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار غيب أى على الإخبار بأمر غائب، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب، كسائر المعاصى، ولا يرد قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ [الشرح: ٢]، ونحو ذلك؛ لأن ما يقع منهم من باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، وفى ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤][(٢)] أى بمتهم، وإلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤]. والحاصل: أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الخسة بإجماع، فأما قصة آدم، وهى أنه أكل من الشجرة، وقد نهاه الله عنها، فمحمولة على أنه تأوّل النهى، مع أنه وإن كان منهيا ظاهراً هو مأمور باطناً لحكمة يعلمها الله تعالى، وأما قول إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام «هذا ربى» فقد ذكره مجاراة لهم، أى هذا ربى بزعمكم، وأما همّ يوسف بزليخا فهو أمر جبلىّ لا اختيارى حتى يكون مذموماً، والرغبة فى النساء محمودة، إذ عدمها يدل على العُنة، وهى نقيصة، ولما همّ يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه، ﴿وهمّ بها لولا =

---

(١) وقوله جل وعلا ﴿يَجْعَلُ﴾ قاض بأنها غير مكتسبة، وإنما هى جَعْلٌ من الله تعالى وتخصيص لشخص معين لا يصلح غيره.

(٢) ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى «بظنين» بالظاء هو إحدى القراءات وأشهرها بالصاد.

كَمْ أبرأتْ وَصِبًا باللَّمْسِ راحَتُهُ وأطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ [86]

وأحْيَتْ السَّنَةَ الشَّهْباءَ دَعْوَتُهُ حَتَى حَكَتْ غُرَّةً فى الأعْصُرِ الدُّهُمِ [87]

بِعارِضٍ جادَ أوْ خِلْتُ البِطاحَ بِها سَيْباً مِنَ الْيَمِّ أوْ سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ [88]

= أن رأى برهان ربه﴾، وأما قصة داود - عليه الصلاة والسلام - وهي أنه خطر بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوّج بزوجته، لما علم من حسنها، فلا ترد أيضاً لأن ما وقع منه ليس معصية، لكنه غير لائق بمقامه، ولذلك عوتب عليه، وبكى حتى نبت العشب من دموعه.

(٨٦) قوله «كم أبرأت» إلخ أى كثيراً من المرات أبرأت إلخ، وقوله «وصبا» بكسر الصاد: أى مريضاً، وقوله «باللمس» أي بسبب اللمس، وأشار بذلك إلى ما روى من أن عين قتادة أصيبت يوم أحد، ووقعت على وجنته، فأتى رسولَ الله ﷺ وقال له: إن لى امرأة أحبها، وأخشى أنها إن رأتنى على هذه الحالة قذرتنى، وارتفع حبى من قلبها، فأخذ النبى ﷺ عينه بيده، وردها إلى موضعها وقال: اللهم أكسبها جمالاً، فكانت أحسن عينيه، وقوله «وأطلقت» أى وحلّت راحته، وقوله «أربا» بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحا، أى ذا أرب وحاجة. وقوله «من ربقة اللمم» أى من عقدة الجنون، ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصى، وأشار بذلك إلى ما روى من أن امرأة أتت للنبى ﷺ بابن لها به جنون، فمسح بيده المباركة صدره، فثعَّ ثعة: أى قاء قيئة، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، وبرىء لوقته.

(٨٧) قوله «وأحيت السنة الشهباء» إلخ أى وأخصبت السنة الشهباء إلخ، والشهباء قليلة المطر، «دعوته» أى دعاؤه بالسقيا. حكت: أشبهت، وغرة كل شيء: أحسنه، والأعصر: جمع عصر، وهو الزمن، والدهم بضم الدال والهاء: جمع أدهم، وهو الأسود. وأشار بذلك إلى ما رواه الشيخان عن أنس «أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، وقال: اللهم أغثنا (ثلاثاً) وما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعه، فطلعت سحابة ثم أمطرت، والله ما رأينا الشمس سبتاً (أى أسبوعاً).

(٨٨) قوله «بعارض» أى أحيت السنة الشهباء دعوته بعارض، والمراد بالعارض السحاب. وقوله «جاد» أى جاد بالمطر الكثير، وقوله «أو خلت» أى أو ظننت، وأو بمعنى إلى. «البطاح» جمع أبطح: وهو الوادى المتسع الذى فيه دقاق الحصى، و«السيب» الجرى، واليم: البحر، والعرم: بفتح العين وكسر الراء فى الأصل: اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره، وهو أيضاً اسم لواد، فالناظر يتشكك فى الماء الكثير الكائن على سطح الأرض، هل هو سيب من البحر أو سيل من السد الذى تحطم.

دَعْنِي ووَصْـفِي آياتٍ لَهُ ظَهَـرَتْ ظُهورَ نَارِ القِرَى لَـيْلاً عَلَى عَلَمِ [٨٩]

فَـالدُّرُّ يزدادُ حُـسْناً وهْوَ مُنْتَظِمٌ وليس يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنْتَظِمِ [٩٠]

فَـمَـا تَطاوُلُ آمَـالِ المديحِ إلى ما فيهِ مِنْ كَرَمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ [٩١]

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْـمنِ مُـحْـدَثَةٌ قَـديمةٌ صِفَـةُ الموصوفِ بالقِدَمِ [٩٢]

لم تَقْـتَـرِنْ بِزَمـانٍ وهِي تُخْـبِـرُنا عَنِ المَعَـادِ وعن عـادٍ وعن إرَمِ [٩٣]

---

(٨٩) أي اتركني وذكرى آيات، والمراد بالآيات المعجزات الدّالة على نبوته ﷺ، وقوله «له» أي آيات كائنة له ﷺ. ظهور نار القرى: أي ظهرت ظهوراً مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذى هو الضيافة. وقوله «على علم» أي على جبل، وقد جرت عادة الكرام من العرب بإيقاد تلك النار على الجبل، ليهتدى الضيفان إلى منازلهم.

(٩٠) «فالدر» وهو اللؤلؤ يزداد حسناً والحال أنه منتظم فى السلك لترتيبه وتنزيله فى المنازل المتناسبة، وليس ينقص قدراً حال كونه غير منتظم؛ لأن حسنه ذاتى له.

(٩١) قوله «فما تطاول» إلخ «ما» نافية، والتطاول فى الأصل مدّ العنق، والآمال جمع أمل، وهو الرجاء، والمديح هو الثناء الحسن، وقوله «إلى ما فيه» أي إلى استقصاء ما فيه ﷺ، والأخلاق جمع خلق بضمتين، وهو الطبيعة، والشيم: جمع شيمة، وهى الخلق بضمتين.

(٩٢) قوله «آيات حق» أي من معجزاته ﷺ آيات حق، أى آياتٌ موصوفة بأنها حق، هى القرآن. وقوله «من الرحمن» أي من عند الرحمن لا من عند محمد، كما زعمه كفار قريش. وقوله محدثة أى أحدثها الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾ [الشعراء: ٥]، وقوله «قديمة» استشكل بأنه ينافى قوله محدثة، وأجيب بأنها محدثة باعتبار الألفاظ، قديمة باعتبار المعانى، وبهذا كله ظهر قوله «صفة الموصوف بالقدم» فليس المراد أن الألفاظ التى نقرؤها صفة للموصوف بالقدم، الذى هو الله تعالى، لأنها حادثة، بل المراد أن معناها صفة له تعالى.

(٩٣) «لم تقترن بزمان» أي لأنها قديمة من حيث معناها، والزمان حادث، وقوله و«هى» أي هذه الآيات، وقوله «تخبرنا عن المعاد» أي عن عَوْد الخلق بعد انعدامهم، وقوله و«عن عاد» أي وتخبرنا عن قبيلة عاد، التى بُعث إليها هود عليه الصلاة والسلام، ويقال لهم أيضاً: ارم، تسميةً باسم جدهم إرم، وقيل إن ارم اسم أرضهم وبلدتهم، وقيل: إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب، فى صحن عدن، وجعل فيها أنهاراً مطردة، وأصنافاً من الشجر، وأتم بناءها فى ثلثمائة سنة، وعند كمالها ارتحل إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة =

دامَتْ لَدَيْنا فَـفـاقتْ كُلَّ مُـعْـجِزَةٍ مِنَ النبـيِّـينَ إذْ جـاءتْ ولَمْ تَدُمِ ٩٤

مُـحْكَمَــاتٌ فـمـا تُبْقِينَ مِـنْ شُبَـهٍ لِذى شِـقاقٍ ومـا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ ٩٥

مـا حُـورِبتْ قَـطُّ إلاّ عـادَ مِنْ حَـرَبٍ أعْدَى الأعادى إليـها مُلْقِىَ السَّلَمِ ٩٦

رَدَّتْ بلاغَـتُـهـا دَعْـوَى مُعـارِضِـهـا رَدَّ الغَيـورِ يَدَ الجـانى عَنِ الحُـرَمِ ٩٧

= يوم وليلة، بعث الله عليهم صيحة من السماء، فأهلكتهم. وقوله «وعن إرم» بكسر الهمزة تسمى عاداً الأخرى.

(٩٤) «دامت لدينا» أى الآيات استمرت عندنا، فتسبب عن ذلك أنها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا ﷺ. «إذ جاءت ولم تدم» أى إذ جاءت عنهم ولم تستمر، بل لم تظهر على أيديهم إلا مرة واحدة، وذلك حين التحدى، ثم لم تظهر بعد ذلك، وإليه أشار ﷺ بقوله «ما من نبى من الأنبياء إلاّ وقد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيتُ وحياً يُتْلَى»، فشريعته باقية إلى يوم الدين، فناسب أن تكون معجزته كذلك.

(٩٥) «محكمات» أى والآيات المذكورة محكمات، ومعنى محكمات: متقنات النظم فى البلاغة والفصاحة، أو أن معنى محكمات: ذوات حكمة. وقوله «فما تبقين من شبه لذى شقاق» أى فما تترك تلك الآيات المحكمات شبها لصاحب شقاق، وهو الكافر، لأنه مشاقّ الدين، والشبه: جمع شبهة، وهى ما يظن دليلاً وليست بدليل. «وما تبغين من حكم» بفتح التاء أى ولا تطلبن حَكَماً، يعنى حاكماً يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه. و«ما» نافية فى الموضعين.

(٩٦) «ما حوربت» إلخ أى ما حورب الآتى بها - وهو النبى ﷺ فى الزمن الماضى - إلا كان النبى ﷺ هو الغالب، ورجع أشد الأعادى عداوة إليه ملقى السلاح، وسلّم له ﷺ إما بدخوله فى الإسلام، وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها. ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة، و«من» فيه بمعنى من أجل. وحقيقة الحرب بفتحتين: سلب المال، لكن المراد به هنا الشدة أى شدة بلاغتها. «أعدى الأعادى» أشد الأعادى عداوة، ومعنى السلم بفتحتين: السلاح.

(٩٧) «ردت بلاغتها» أبطلت بلاغتها دعوى معارضها، كما وقع لمسيلمة الكذاب، حيث عارض - لعنه الله - القرآنَ لما ادّعى النبوة، وأراد أن يأتى بقرآن يشبه القرآن، فقال فى معارضة سورة النازعات: «والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا». قوله «رد الغيور» أى ردا مثل ردّ الشخص الغيور الذى هو شديد الغيرة على النساء، والحرم بضم الحاء وفتح الراء: جمع حرمة، كامرأته وأخته وغيرهما. وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله بسبب ما اشتمل عليه من البلاغة التى لم يصلوا إليها، وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم، وهو قول الجمهور.

لهـا مَعَـانٍ كَمَـوْجِ البَـحْـرِ فى مَـدَدٍ   وفوْقَ جـوْهَرِهِ فى الحُسْنِ والـقِيَمِ ٩٨

فـلا تُعَـدُّ ولا تُحْـصَى عَـجائِبُـهـا   ولا تُسـامُ على الإكْـثـارِ بالسَّأَمِ ٩٩

قَـرَّتْ بِهـا عَيْنُ قـاريها فَـقُلْتُ لَهُ   لَقَـدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فـاعْتَـصِمِ ١٠٠

إنْ تَتْلُهـا خِـيفَـةً مِنْ حَـرِّ نارِ لَظَى   أطْفَأْتَ نارَ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ ١٠١

كـأنَّهـا الحَـوْضُ تَبْيَضُّ الـوُجـوهُ بِهِ   مِنَ العُصَـاةِ وَقَدْ جَاءوهُ كـالحُمَمِ ١٠٢

---

(٩٨) «لها معان إلخ» أى لتلك الآيات معان كثيرة لا نهاية لها. «كموج البحر فى مدد» أى مثل موج البحر فى كونه يمد بعضه بعضاً، إذ ما من موجة إلا وبعدها موجة، وأشار بذلك إلى قول بعضهم: أقل ما قيل فى العلوم التى فى القرآن من ظواهر المعانى المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم، وثمانمائة علم، وما حُكى عن بعضهم من أنه قال: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقى من فهمها أكثر. وقوله «وفوق جوهره فى الحسن والقيم» أى ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر فى حسنها البديع، وفي قدرها وشرفها، والقيم: بكسر القافٍ وفتح الباء جمع قيمة والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازاً.

(٩٩) «عجائبها» أى معانيها العجيبة، جمع عجيبة، وهى الشىء العديم النظير أو قليله، وقوله «ولا تسام» أى لا توصف، وقوله «على الإكثار» أى مع الإكثار منها الذى لا غاية له، وقوله «بالسأم» أى الملل. وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معانٍ كموج البحر فى الكثرة التى لا غاية لها، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها لحسنها، فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الإكثار منه بخلاف آيات القرآن.

(١٠٠) «قرت بها» أى سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قاربها لحصول السرور لها، فإن عين الحزين تكون مضطربة، وعين المسرور تكون ساكنة، وقيل من القر بضم القاف وهو البرد، والمعنى: بردت بدمعة الفرح، ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها. وقوله «لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم» أى والله لقد فزت بما يوصلك إلى الله، فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله، أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع فى المخالفة المؤدّية إلى عقاب الله تعالى.

(١٠١) قوله «إن تتلها» إلخ أى إن تقرأها إلخ، وقوله «خيفة» أى خوفاً، وقوله «من حر نار لظى» أى التى هى جهنم، وقوله «من وردها»: الورد بمعنى المورد، وهو المحل الذى يورد منه الماء، وقوله «الشبِم» بفتح الشين وكسر الموحدة: أى البارد، فالماء يطفىء حرارة العطش، والآيات تطفىء حرارة نار جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه.

(١٠٢) قوله «كأنها الحوض» إلخ أى كان الآيات المذكورة ماء الحوض، وقوله «الوجوه» أى ذوو =

وكـالصِّـراطِ وكـالميـزانِ مَـعْـدِلَةً فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ ١٠٣

لا تَعْـجَـبَنْ لِحَـسُودٍ راحَ يُنْكِرُها تَجاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ ١٠٤

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَمْسِ مِنْ رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ ١٠٥

يا خيرَ مَنْ يَمَّمَ العافونَ ساحَتَهُ سَعْياً وفَوْقَ مُتونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ ١٠٦

= الوجوه، وقوله «به» أي بالحوض، وقوله «من العصاة» أي حال كونهم بعض العصاة، فمن للتبعيض. وقوله «وقد جاءوه» والضمير الفاعل راجع للعصاة، والضمير المفعول راجع للحوض. وقوله «كالحمم» أي حال كونهم كالحمم، فالحمم جمع حمة بمعنى فحمة، ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصي، فيبيض وجهه بشفاعتها، كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يُصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار، فيعودون بيضاً كالقراطيس، ثم يدخلون الجنة.

(١٠٣) قوله «وكالصراط» إلخ أي وهذه الآيات كالصراط استقامةً. والمراد بالصراط: الدين الذي لا اعوجاج فيه، أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم. وقوله «وكالميزان معدلة» أي وكالميزان من جهة العدل، فمعدلة بمعنى عدلاً، هو الميزان الذي يكون في يوم القيامة. وقوله «فالقسط من غيرها في الناس لم يقم» أي فالقسط بكسر القاف، الذي هو العدل المأخوذ من غير هذه الآيات لم يقم في الناس.

(١٠٤) قوله «لا تعجبن» أي لا ينبغي العجب؛ لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب، وها هنا قد ظهر السبب وهو الحسد. وقوله «راح ينكرها» أي ذهب ينكر كونها من عند الله، وقوله «تجاهلاً» أي حال كونه متجاهلاً، أي مظهراً للجهل. وقوله «وهو عين الحاذق الفهم» أي والحال أنه عين الحاذق أي الماهر، الفهم: بفتح الفاء وكسر الهاء: أي الشديد الفهم، وحينئذ فإنكارها عناد دعاه إليه الحسد.

(١٠٥) لما ادّعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة، أثبت ذلك بأمرين محسوسين: الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها، والثاني إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به، فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر.

(١٠٦) «يا خير من يمم» إلخ أي يا خير كريم قصد العافون، وهم الطالبون للمعروف بساحته، والعافون: جمع عاف، وهو طالب المعروف، والساحة: حريم الدار الواسع، وسعياً: بمعنى ساعين. والمتون: جمع متن وهو الظهر، والأينق: جمع ناقة، وأصله أنوق قدِّمت الواو على النون فصار أونق، ثم قلبوها ياء فصار أينق. والرسم: بضم الراء المشدّدة وضم السين جمع رَسوم، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدّة الوطء عليها.

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ   وَمَن هو النعمةُ العُظْمَى لمغتنِمِ [١٠٧]

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلى حَرَمٍ   كما سَرَى البدْرُ فى داجٍ مِنَ الظُّلَمِ [١٠٨]

وَبِتَّ تَرْقَى إلى أنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً   مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ ولَمْ تُرَمِ [١٠٩]

---

(١٠٧) قوله «ومن هو» إلخ أى ويا من هو إلخ، فـ«من» هنا واقعة عليه ﷺ وحده. وقوله «الآية الكبرى لمعتبر» أى الآية الكبرى التى هى أكبر الآيات لمتأمل ومتفكر، أى الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق. وقوله «ومن هو» إلخ أى ويا من هو إلخ، وقوله «النعمة العظمى لمغتنم» أى النعمة العظمى التى هى أعظم النعم للمريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١٠٨) قوله «سريت» إلخ كأنه قال: ومن معجزاتك أنك سريت إلخ، سريت: سرت ليلاً. وقوله «من حرم» أى حرم مكة. وقوله «ليلاً» أى فى ليل، وإنما خُص الليل بذلك دون النهار؛ لأنه وقت تفريغ البال، وقطع العلائق، وقيل: لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل، فجُبِرَ بأن أسْرِىَ فيه بمحمد ﷺ. وقوله «إلى حرم» أى حرم بيت المقدس، وقوله «كما سرى البدر» أى مثل سير البدر الذى هو القمر ليلة كماله، وهى ليلة أربعة عشر، والداجى: اسم لِلَّيل المظلم، يقال دجا الليل، أى أظلم، فهو داج، أى مظلم، فقوله «من الظلم» تكملة أى من ذى الظلم، جمع ظلمة، وفى هذا البيت إشارة إلى قصة الإسراء، وقد ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

(١٠٩) أى وبعد وصولك إلى بيت المقدس بتَّ ترقى أى تصعد، فإنه ﷺ نُصِبَ له معراج له مرقاة فصعد عليها إلى سماء الدنيا، فلما جاوز السماء الأولى دليت المرقاة فصعد عليها إلى السماء الثانية، وهكذا إلى السماء السابعة، ثم إلى الكرسى، ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، ثم دُلِّىَ له الرفرف، وهو سحابة خضراء، فصعد عليها إلى ما شاء الله تعالى. وقوله: «إلى أن نلت منزلةً» أى «إلى أن أعطيت مرتبة فى القرب». وقوله «من قاب قوسين»، والأصل من قابَىْ قوس؛ لأن كل قوس له قابان، وبينهما شىء قليل جداً، فبينهما غاية القرب، فكذلك بينه ﷺ وبين الله، فبينهما غاية القرب، لكن المراد هنا القرب المعنوى. وقوله «لم تدرك» أى لم يدركها غيرك، وقوله «ولم ترم» أى لم يرمها غيرك، ولم يطلبها للعلم بأنها ليست إلا لك، وفى هذا البيت إشارة إلى قصة المعراج، وقد ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿ثم دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.

وقَـدَّمَــتْكَ جَـمِـيعُ الأنبـيـاءِ بِـهـا   والرُّسْلُ تَقْدِيمَ مَخْدومٍ عَلَى خَدَمِ ١١٠

وأنتَ تَخْـتَـرِقُ السَّـبْعَ الطِّبـاقَ بِهِمْ   فى مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صَاحِبَ العَلَمِ ١١١

حَتَّـى إذا لم تَدَعْ شَـأْواً لِمُـسْـتَـبِقٍ   مِنَ الدُنُوِّ ولا مَـرْقًى لِمُـسْـتَنِمِ ١١٢

خَـفَـضْتَ كُلَّ مَـقَـامٍ بالإضـافَـةِ إذْ   نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِـثْـلَ المُفْـرَدِ العَلَمِ ١١٣

كَـيْـمـا تَفـوزَ بِوَصْلٍ أىِّ مُـسْـتَـتِـرٍ   عَنِ العُـيُـونِ وَسِـرٍّ أىِّ مُكْتَـتَمِ ١١٤

---

(١١٠) قوله «بها» أى بتلك المنزلة، وقوله و«الرسل» أى وجميع الرسل، وقوله «تقديم مخدوم على خدم» أى تقديماً مثل تقديم مخدوم على خدم.

(١١١) قوله «وأنت تخترق» بمعنى تقطع السموات السبع الطباق، أى التى هى طبقة فوق طبقة. وقوله «بهم» أى حال كونك ماراً بالأنبياء، ففى حديث الإسراء فى صحيح مسلم «أنه مر فى السماء الدنيا بآدم، وفى الثانية بعيسى ويحيى، وفى الثالثة بيوسف، وفى الرابعة بإدريس، وفى الخامسة بهارون، وفى السادسة بموسى، وفى السابعة بإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقوله «فى موكب»: الموكب: الجمع العظيم المتلبس بهيئة عظيمة، وقد كان معه ﷺ جبريل. وجملة «كنتَ فيه صاحب العلم»: أى كنت فيه المشار إليه؛ لأن العلم الرمح فى رأسه راية، ومن شأن صاحبه أن يشار إليه، وكان جبريل يستفتح فى كل سماء فيقال له: ومن معك؟ فيقول: محمد.

(١١٢) قوله «لم تدع شأواً لمستبق» أى لم تترك غاية لطالب سبق، و«شأوا» أى غاية، والمستبق: طالب السبق. «من الدنو» أى من القرب. وقوله «ولا مرقى لمستنم» المرقى: محل الرقى، وهو الدرجة، والمستنم: طالب الرفعة وهو الساعى ليرتفع.

(١١٣) قوله: «خفضت كل مقام» أى خفضت كل رتبة لغيرك، وقوله «بالإضافة» أى بالنسبة إلى مقامك لا مطلقاً، وإلا فالأنبياء كلهم متصفون بالكمال، لكنه ﷺ أكمل؛ فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق، وإياك أن تعتقد أن غيره ﷺ من الأنبياء ليس متصفاً بالكمال؛ لأن ذلك كفر. وقوله «إذ نوديت بالرفع» أى لأنك نوديت من قبل الله تعالى نداءً مصحوباً برفع شأنك إلى ما لم يصله أحد غيرك. قوله: «مثل المفرد العلم» فكما أن المفرد العلم خُصَّ بكونه نودى نداء مصحوباً بالرفع من بين أقسام المنادى، فإنّ ما عداه منها منصوب، كذلك ﷺ خُصَّ بكونه نودى نداءً مصحوباً بالرفع من بين سائر الأنبياء، والمراد بالمفرد العلم: المعرفة.

(١١٤) قوله «كيما تفوز» فالمعنى فعلتَ ذلك لأجل أن تفوز إلخ. وقوله «أى مستتر عن العيون»: =

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ وجُزْتَ كُلَّ مَقامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ ١١٥

وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ وعَزَّ إدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ ١١٦

بُشْرَى لنا مَعْشَرَ الإسْلامِ إنَّ لنا مِنَ العِنايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ ١١٧

لَمّا دَعا اللهُ داعِينا لطاعَتِهِ بأكْرَمِ الرُّسْلِ كُنّا أكْرَمَ الأمَمِ ١١٨

راعتْ قلوبَ العِدا أنباءُ بَعْثَتِهِ كنَبْأَةٍ أجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ ١١٩

= أى وصل كامل فى الاستتار عن العيون. وقوله «وسر أىّ مكتتم»: أى سر كامل فى الاكتتام عن الخلق، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) ﴾ [النجم: ١٠]، كما يدل على ذلك حديث عائشة - رضى الله تعالى عنها - حيث قالت: يا رسول الله ما الذى أوحى إليك ربك إذ قال فأوحى إلى عبده ما أوحى؟ قال: يا عائشة أتريدين أن تعلمى ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرّب؟! (إلى آخر الحديث).

(١١٥) قوله «فحزت» الحيازة: الجمع، فمعنى حزت جمعت، والفخار: هو ما يُفتخر به من الفضائل، وقوله «غير مشترك» أى بينك وبين غيرك، بل هو مختص بك، وقوله «وجزتَ»: أى عبرت وتجاوزت، وقوله «كل مقام»: المقام: الرتبة، وقوله «غير مزدحم» بفتح الحاء أى غير مزدحم فيه لعدم الواصلين إليه.

(١١٦) قوله «وجل» إلخ أى عظم، وقوله «ما وليت» بالبناء للمفعول أى ما ولاك الله. والرتب: المناصب الشريفة. وقوله «وعز»: أى امتنع ذلك، فلا يحصل لأحد غيرك. وقوله «ما أوليتَ» بالبناء للمفعول، أى ما أولاك مولاك أى أنعم عليك.

(١١٧) قوله «بشرى لنا» إلخ أى هذه المناقب بشرى لنا إلخ. وقوله «إن لنا من العناية ركناً غير منهدم» أى إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا فى الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ. أماتنا الله على سنته، واتباع ملته بمنّه وفضله ورحمته.

(١١٨) قوله «لما دعا الله» إلخ أى لما سمَّى الله، وفى التنزيل ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والمعنى عليه: لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل، كنا أكرم الأمم، والأوّل أقرب كما لا يخفى.

(١١٩) قوله «راعت» إلخ أى أفزعت»، وقلوب: أى أصحاب قلوب، والعدا: بالكسر والقصر جمع عدو، والمراد بهم الكفار، والمراد بأنباء بعثته: أخبارها التى صدرت من الكهان والأحبار وغيرهم، كقولهم: إنه سيظهر دين يغلب كل دين. وقوله «كنبئة» أى مثل نبئة أي زأرة الأسد، وجملة أجفلت: أى أفزعت صفة لنبئة، وغفلا: جمع غافل.

مَـا زالَ يَلقـاهُـمُ فى كُلِّ مُـعْـتَـرَكٍ حَتَّى حكَوا بالقَنا لَحْما على وَضَمِ ١٢٠

وَدُّوا الفَــرارَ فـكادوا يَغْــبِطُونَ بِهِ أَشْلاءَ شالتْ مَعَ العِقْبانِ والرَّخَمِ ١٢١

تَمْـضِى الليـالى ولا يَدرونَ عِـدَّتَهـا ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَـيالى الأشْهُـرِ الحُرُمِ ١٢٢

كـأنما الدِّينُ ضَـيْفٌ حَلَّ سـاحَـتَهُمْ بكُلِّ قَـرْمٍ إلى لَحْمِ العِـدَا قَـرِمِ ١٢٣

يَجُـرُّ بَحْـرَ خَـمـيسٍ فَـوْقَ سـابِحَـةٍ يَرْمِى بِمَـوْجٍ مِنَ الأبطال مُـلْتَطِمِ ١٢٤

---

(١٢٠) قوله «مازال» إلخ أى لم ينفك ﷺ عن كونه يلقاهم بنفسه تارة، وبخيله ورجله أخرى، فى كل معترك وقع بينه ﷺ وبينهم، والمعترك بفتح الراء: محل الاعتراك، أى الازدحام للحرب. وقوله «حكوا» شابهوا، وقوله «بالقنا» أى بطعن القنا، والقنا: جمع قناة وهى الرمح، والوضم بالضاد المعجمة: ما يضع القصَّاب اللحمَ عليه، معداً لمن يأخذه، وهو المسمى بالطبلية، وقيل: إنه الحديد الذى يُغرز فيه اللحم حين يُشوى ليؤكل.

(١٢١) قوله «ودّوا الفرار» إلخ أى تمنوا الهرب منه ﷺ، وقوله «فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم» أى فلتمنيهم ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار، أشلاء: أى أعضاء شالت أى ارتفعت حال كونها مع العقبان. العقبان: جمع عقاب[1]، وهو نوع من الطير، ومع الرخم جمع رخمة، وهى نوع من الطير أيضاً، وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما. والغبطة: هى تمنى الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره. وأشلاء: جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم.

(١٢٢) قوله «تمضى الليالى» إلخ أى تمر عليهم الليالى بأيامها، والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل فى قلوبهم من الفزع، وقوله «ما لم تكن من ليالى الأشهر الحرم» أى ما لم تكن تلك الليالى من ليالى الأشهر الحرم التى هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، لإمساك النبى والمؤمنين عن جهادهم فى الأشهر الحرم.

(١٢٣) قوله «كأنما الدين» إلخ أى كأنما دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار، وقوله «بكل قرم» بفتح القاف، وسكون الراء: أى مع كل شجاع، وقوله إلى لحم العدا قرم، بفتح القاف وكسر الراء: أى شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين.

(١٢٤) قوله «يجر» إلخ أى يستتبع هذا القرم الذى هو الشجاع، وقوله «بحر خميس» أى خميس كالبحر فى تموجه وإهلاكه الكفار، والخميس هو الجيش العظيم، سمى بذلك لأنه مركب =

---

(١) قال فى القاموس: والعُقاب - بضم العين - طائر جمعه أعقُبُ وعِقبان - بكسر العين.

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ ١٢٥

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ ١٢٦

مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ ١٢٧

= من خمس قوائم: مقدمة، وميمنة، وميسرة، وساقة، وقلب. وقوله «فوق سابحة» أي كائن فوق خيل سابحة: أي مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحر. والأبطال: جمع بطل، وهو الشجاع، وقوله «ملتطم» صفة لموج، أي ملتطم بعضه ببعض.

(١٢٥) قوله «من كل منتدب» أي من كل مجيب، وقوله «محتسب» أي مدخر ثواب عمله عند الله، وقوله «يسطو» أي يصول، وقوله «بمستأصل للكفر» أي بآلة مستأصلة لأهل الكفر، أي مزيل لهم من أصلهم، وقوله «مصطلم» أي مهلك لهم.

(١٢٦) وغدت بمعنى صارت، وقوله «وهي بهم» أي وهي مصحوبة بالصحابة، وقوله «من بعد غربتها»، والمراد بغربتها عدم شهرتها وقلة من ينتمي إليها، وقوله موصولة الرحم: أي كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمي إليها، وأشار بذلك إلى حديث مسلم «بدا الإسلام غريباً»[١].

(١٢٧) قوله «مكفولة» إلخ أي محفوظة، وقوله «أبداً» أي إلى الأبد، وقوله «منهم» أي من الكفار، وقوله «بخير أب وخير بعل» هو النبي ﷺ، فإنه أشفقُ على أمته من الأب على أولاده، وأقْوَم بمصالحهم من البعل على زوجاته[٢]، وقوله «فلم تيتم» أي من جهة الأب، وقوله «ولم تئم» أي من جهة البعل، يقال: يتم الولد إذا مات أبوه وهو صغير، ويقال: آمت المرأة تئيم كباعت تبيع: إذا خلت من زوجها.

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود، وابن ماجه عن أنس، والطبراني عن سيدنا سلمان وسهل بن سعد وابن عباس.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شريح بن عبيد مرسلاً: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء، ألا إنه لا غربة على مؤمن، ما مات مؤمن في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض» ورواه ابن جرير، وابن أبي الدنيا إلا أن روايتهما «ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ ثم قال: إنهما لا يبكيان على كافر» وهو مروي عن أنس وجابر، وسعد بن أبي وقاص، وسهل بن سعد، وسلمان وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعمر، وعلي، وعمرو بن عوف، وواثلة، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي سعيد، وأبي موسى وغيرهم، فهو مشهور أو متواتر كذا من «كشف الخفاء» للعجلوني.

(٢) ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين في كتاب الله، فأيكم ما ترك ديناً أو ضيعة فادعوني فأنا وليه، وأيكم ما ترك مالاً فليوثر بماله عصبته من كان» رواه مسلم.

ويشير ﷺ بقوله «في كتاب الله» إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٦: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصادِمَهُمْ ماذا رَأى مِنْهُمْ فى كُلِّ مُصْطَدَمِ ١٢٨

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ ١٢٩

المُصْدِرى البيضَ حُمْراً بَعْدَ ما وَرَدَتْ مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ ١٣٠

والكاتِبينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ ١٣١

---

(١٢٨) قوله: «هم الجبال» أى هم كالجبال فى الشمم والصلابة، وقوله «فسل عنهم مصادمهم» أى مَنْ صادمهم من أعدائهم، وقوله «ماذا رأى منهم» أى من الشدة، وقوله «فى كل مصطدم» بفتح الدال، أى الأماكن التى التقوا فيها مع أعدائهم.

(١٢٩) قوله «وسل حنيناً» إلخ أى وسل زمن غزوة حنين، وسل زمن غزوة بدر، وسل زمن غزوة أحد. ومعنى قوله «فصول حتف لهم» أزمنة موت للكفار، وقوله «أدهى من الوخم» أى أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيها من الوخم الذى هو الوباء. وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان، وهو اسم لواد بين مكة والطائف، وفيه التقى رسول الله ﷺ والمسلمون مع المشركين، فانهزم الكفار، وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها فى يوم الجمعة سنة ثنتين، وقتل فيها من صناديد قريش سبعون، وأسر منهم سبعون، وكانت غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث، وهو اسم لجبل بالمدينة، واستشهد فيها من المسلمين سبعون، منهم حمزة، وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً، والحرب سجال، واحدة لنا، وواحدة علينا.

(١٣٠) قوله «المصدرى البيض»، والمصدرين جمع مصدر بضم الميم، من أصدر عن الماء: رجع، والمراد من البيض السيوف المصقولة. وقوله «حمرا» أى من الدماء التى خالطتها، وقوله «بعد ما وردت» أى بعد ورودها، وقوله «من اللمم» أى الشعر المجاور شحمة الأذن، فاللمم بكسر اللام: جمع لمة، وهى الشعر المذكور. فحاصل المعنى: أمدح الصحابة الذين أصدروا أى أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللمم، حال كونه من العدا، وفى ذلك دليل على شجاعة الصحابة - رضى الله عنهم - حيث لا يرضون إلا بقتل سود اللمم من العدا، وهم الشبان فى الغالب.

(١٣١) المراد بسمر الخط: الرماح الخطية فالسمر جمع أسمر، وهو الرمح، والخط شجرة تتخذ منه تلك الرماح[1]، وقيل: موضع باليمامة تجلب إليه تلك الرماح من الهند. وقوله «ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم» أى لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير مزال عجمته، بل أزالت عجمته، فالمراد بأقلامهم: أسنة رماحهم.

---

(١) الرماح الخطية: نسبة إلى مرفإ للسفن فى البحرين تباع به الرماح، قال فى القاموس: «ومرفأ السفن بالبحرين، وإليه نسبت الرماح لأنها تباع به، لا إنه منبتها».

شاكِّى السِّلاحِ لَهُمْ سيما تُمَيِّزُهُمْ   والوَرْدُ يَمْتازُ بالسِّيما عَنِ السَّلَمِ ١٣٢

تُهْدِى إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ   فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فى الأكمام كُلَّ كَمِى ١٣٣

كأَنَّهُمْ فى ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا   مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ ١٣٤

طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بَأسِهِمْ فَرَقاً   فما تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهَمِ ١٣٥

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ   إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فى آجامِها تَجِمِ ١٣٦

---

(١٣٢) قوله «شاكى السلاح» إلخ أى حادِّيه، وقوله «لهم سيما تميزهم» أى لهم علامة تميزهم عن غيرهم، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله «والورد يمتاز بالسيما عن السلم»: شجر من العضاة فالورد والسلم وإن اشتركا فى أن كلاً شجر مورق ذو شوك إلا أن بينهما فرقاً ظاهر لكل ذى بصر، وكذلك الصحابة وغيرهم، فإنهما وإن اشتركا فى أن كلاً ذو سلاح، إلا أن بينهما فرقاً ظاهراً لكل ذى بصيرة.

(١٣٣) قوله «تهدى إليك» بمعنى ترسل، والمراد برياح النصر الرياح التى حصل بها النصر، والمراد بالنشر الخبر السار، وإن كان فى الأصل الرائحة الطيبة، والزهر: نَوْرُ الشجر، والأكمام جمع كم: وهو غلاف النور، والكمى: الشجاع فى سلاحه.

(١٣٤) قوله «كأنهم فى ظهور الخيل» إلخ أى كأن الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل نبت ربا فى الاستقرار والثبوت. والربا جمع ربوة، وهى ما ارتفع من الأرض، ونبتها يكون أثبت من غيره لطول عروقه حتى يصل إلى الماء، ويكون أحسن من غيره، لأنه لا يستقر عليه الماء فيأخذ حظه من الشمس والرياح، وقوله «من شدة الحزم» من قوّة جودة رأيهم وتدبيرهم، وقوله «لا من شدة الحزم» أى لا من ربط الحزم (جمع حزم) التى يربط بها السرج أو غيره على ظهر الدابة.

(١٣٥) قوله «طارت» بمعنى اضطربت، وقوله «من بأسهم» أى من شدتهم وقوّتهم فى الحرب، وقوله «فرقاً» أى فزعاً. وقوله «فما تفرّق بين البهم والبُهْم» البهم جمع بهمة وهى السخلة، وهى أولاد الضأن، والبهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء: الشجعان(١).

(١٣٦) قوله «ومن تكن برسول الله» ولا تكون النصرة برسول الله ﷺ إلا باتباع سنته، وترك ما كان على خلاف شريعته، وذلك هو تقوى الله، والحامل عليها خوف الله، ومن خاف الله خاف منه كل شىء، حتى الأسْد فى آجامها، الأسد: جمع أسد، وهو الحيوان المعروف، آجامها: جمع أجمة، وهى الغابات، تجم: بكسر الجيم ؛ أى تسكت من هيبته.

---

(١) فى القاموس: البُهمة: - بضم الباء - الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتَى.

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ [137]

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِى حِرْزِ مِلَّتِهِ كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِى أَجَمِ [138]

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرهانُ مِنْ خَصِمِ [139]

كَفاكَ بِالعِلْمِ فِى الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً فِى الجاهِلِيَّةِ والتأديبِ فِى اليُتُمِ [140]

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِى الشِّعْرِ والخِدَمِ [141]

---

(١٣٧) والمراد بالولى من آمن به ﷺ، والعدوّ ضده. وقوله «به» أى برسول الله، والمنقصم: القصم بالقاف: القطع مع الإبانة.

(١٣٨) قوله «أحل أمته» أى أنزلها، لأنه أحل أمته إلخ. وقوله «فى حرز ملته»: أى فى ملته الشبيهة بالحرز، وإنما كانت ملته ﷺ شبيهة بالحرز، لأنها تحفظ من اتبعها من نار الكفر. وقوله «كالليث حل مع الأشبال فى أجم» أي فالنبى ﷺ حل مع أمته فى ملته كالليث حل مع أشباله فى الأجم، والليث هو الأسد والأشبال هى أولاده، والأجم جمع أجمة، وهى الغابة أى الشجر الملتف.

(١٣٩) كم بمعنى كثيراً، وجدّلت: أى قطعت وأزالت جداله، وكلمات الله: هى القرآن، والجدل أى فى أمره ﷺ. وقوله «وكم خصم البرهان من خصم» أى وكثيراً ما خصم البرهان، الذى هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد، وهو شديد الخصومة. وحاصل معنى البيت: كثيراً ما أزال القرآن جدال المجادل فى أمره ﷺ، وكثيراً ما أزال الدليل القاطع خصومةَ شديدِ الخصومة فى أمره ﷺ، والأول إشارة إلى ما وقع فى القرآن من جواب المعاندين السائلين له ﷺ، والثانى إشارة إلى ما وقع منه ﷺ من الآيات، حين سألوه آية على رسالته.

(١٤٠) قوله «كفاك بالعلم» أى كفاك العلم، وقوله «فى الأمى» أى فى النبى الأمى، وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب، نسبةً للأم، كأنه على الهيئة التى نزل عليها من أمه. وقوله «فى الجاهلية» أى الزمن الذى لا علم فيه. وقوله «والتأديب فى اليتم» أى وكفاك بالتأديب فى اليتم معجزة؛ لأن شأن اليتيم، وهو الصغير الذى لا أب له أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون فى غيره؛ فإن الأب غالباً يهتم بتأديب ابنه، ويسعى فى تكميله باكتساب الصفات الحميدة، بخلاف غير الأب، وكان ﷺ مؤدَّباً بأحسن الأخلاق، على خلاف العادة فى اليتيم.

(١٤١) أى خدمته ﷺ بما تقدم من المدح، أطلب من الله أن يقيلنى بسبب هذا المديح ذنوب عمر مضى فى الشعر، مدحاً لأبناء الدنيا.

إذ قَلَّدانى مـا تُخْشَى عَـواقِـبُـهُ   كـأَنَّنى بِهِـمـا هَدْىٌ مِنَ الـنَّعَمِ ١٤٢

أطَعْتُ غَىَّ الصِّبـا فى الحـالتينِ وَمـا   حَـصَلْتُ إلاّ على الآثـامِ والنَّدَمِ ١٤٣

فـيـا خَـسـارةَ نَفْسٍ فـى تِجارتهـا   لم تَشْتَـرِ الدِّينَ بالدنيـا ولم تَسُمِ ١٤٤

وَمَنْ يَـبِعْ آجِـلاً مِنْهُ بِعـاجِلِه   يَبِنْ لَهُ الـغَبْنُ فى بَيْعٍ وفى سَلَمِ ١٤٥

إنْ آتِ ذَنْبًا فـمـا عَـهْدِى بِمُنْتَقِضٍ   مِنَ النَّبِىِّ ولا حَبْلِى بِمُنْصَرِمِ ١٤٦

فَـإِنَّ لى ذِمَّـةً مِنْهُ بِتَسْـمِـيَتِى   مُـحَمَّـداً وَهْوَ أَوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ ١٤٧

---

(١٤٢) قوله «إذ قلدانى» الضمير فى قلدانى للشعر والخدم. وقوله «ما تخشى عواقبه» أى آثاماً تخشى عواقبها، والمراد بعواقبها أنواع العذاب، وقوله «كأننى بهما هدى من النعم» أى كأننى بسبب الشعر والخدم هدى من النعم، التى هى الإبل والبقر والغنم، ومن شأن الهدى أن يُقلد بجعل شىء فى عنقه، من نعل ونحوه؛ ليعلم أنه هدى.

(١٤٣) الغي: ضد الهدى، وأضيف للصبا لأنه يدعى إليه؛ فإنه زمن الجهل والبطالة. قوله «فى الحالتين» أى حالتى الشعر والخدم.

(١٤٤) قوله «لم تسم» بفتح التاء وضم السين المهملة: أى ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا، وكأن الناظم عنَى نفسه فنادى عليها بالخسارة، حيث اتبعت الشعر والخدم لأبناء الدنيا، ولو صحبها التوفيق لتركت ذلك، واشتغلت بالدين.

(١٤٥) المراد بالآجل الثواب الذى يكون فى الآخرة المحققة الباقية، وبالعاجل الذى يأخذه من الدنيا الذاهبة الفانية. والظاهر أن الضمير فى «منه» راجع للدين فى البيت قبله. وقوله «يبن له الغبن» أى يظهر له الخداع، وقوله «فى بيع وفى سلم»، السَّلَم: السلف، والمعنى: يظهر له الغبن فى حالة البيع، وفى السلف أيضاً.

(١٤٦) هذا البيت تأنيس للنفس وترجٍّ لها فى رحمة الله تعالى. «آت» أصله أأت، بهمزتين. وقوله «فما عهدى بمنتقض من النبى» أى فما إيمانى بمنقطع عن النبى؛ لأنّ الذنب لا ينقض الإيمان، وقوله «ولا حبلى بمنصرم» أى ولا وصلى بمنقطع من النبى ﷺ.

(١٤٧) قوله «فإن لى ذمة» إلخ هذا البيت تعليل للبيت قبله، ووجه ذلك أن اختياره التسمية باسمه ﷺ دليلٌ على محبته فيه؛ فإنه لا يتسمى بالإسم إلاّ من أحب مسماه، وأما من يكرهه فلا يتسمى به. وقوله «وهو أوفى الخلق بالذمم» أى وهو ﷺ أشدهم وفاء بها، فيقوم بحقها بأن يشفع لأهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه. وفى كلام المصنف ترغيب فى التسمية باسمه ﷺ.

إنْ لَمْ يَكُنْ فى مَعَادِى آخِذاً بِيَدِى فَضْلاً، وإلاّ فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ [148]

حاشاهُ أن يَحْرِمَ الراجِى مَكارِمَهُ أو يُرْجِعَ الجارَ مِنْهُ غيرَ مُحْتَرَمِ [149]

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أفكارِى مدائِحَهُ وَجَدْتُهُ لِخَلاصِى خَيْرَ مُلْتَزِمِ [150]

ولَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يداً تَرِبَتْ إنَّ الْحَيَا يُنبتُ الأزهارَ فى الأُكُمِ [151]

ولَمْ أُرِدْ زهرةَ الدنيا التى اقْتَطَفَتْ يَدا زُهَيْرٍ بما أثْنَى عَلَى هَرِمِ [152]

---

(١٤٨) أى إن لم يكن ﷺ فى يوم عوْدى إلى الله تعالى آخذاً بيدى، بأن يشفع لى، حال كون ذلك فضلاً منه، لا لسابقة منى تقتضى ذلك، فقل يا زلة القدم، وهو كناية عن سوء الحال والوقوع فى الشدة.

(١٤٩) حاشا هنا اسم بمعنى المحاشاة، وهى التنزيه. وقوله «أن يَحرم الراجى مكارمه» أى من أن يحرم النبى ﷺ الراجى منه مكارمه، والمكارم: جمع مكرمة، والمراد منها الشفاعة، وقوله «أو يرجع الجار منه غير محترم» فالمعنى: وحاشاه من أن يرجع الجار منه أى المستجير به الداخل فى جواره، حال كونه غير محترم، بل يرجع محترماً بشفاعته ﷺ، جعلنا الله من أهل شفاعته أجمعين.

(١٥٠) الأفكار: جمع فكر، وهو حركة النفس فى المعقولات، والمدائح: جمع مديح، وهو الثناء الحسن، وإنما كان ﷺ خير ملتزم لخلاصه من الشدائد؛ لأنه وَفَّى بخلاصه منها على أحسن الوجوه وأتمها، وأشار المصنف بذلك إلى الداء الذى كان أصابه، وهو داء الفالج (الشلل) والعياذ بالله تعالى منه، وكان هو السبب فى إنشاء هذه القصيدة، فإنه لما أصيب به عملها فرأى النبى ﷺ فى النوم، ومسح بيده الكريمة عليه فعوفى.

(١٥١) الغنى: اليسار، والضمير فى منه عائد على النبى ﷺ، وتربت بكسر الراء: أى التصقت بالتراب، لكونها مفتقرة افتقاراً حسياً، بأن ضيعت ما كان فيها من الأموال، أو معنوياً بأن ضيعت ما كان لها من الثواب، لاقترافها المعاصى. الحيا: المطر. ينبت الأزهار: جمع زهر. فى الأُكُم: بضمتين جمع أكَمَة، والأكمة هى الربوة، أى المحل المرتفع من الأرض، وهو قليل النبات لعدم استقرار الماء عليها لعلوها، كذلك ﷺ ينيل الغنى مَن ليس مظنةَ الغنى.

(١٥٢) لما كان قوله «ولن يفوت الغنى» إلخ يوهم التعريض بطلب شىء من حطام الدنيا، دفع هذا التوهم بقوله «ولم أرد زهرة» إلخ أى وإنما أردت الغنى منه فى الآخرة بالشفاعة فى المذنبين. والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره، والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن أبى سُلمى، كان زهير من الشعراء المقدَّمين على سائر الشعراء فى الجاهلية. وقوله «بما أثنى على=

يا أكْـرَمَ الـرُّسْلِ مـا لِى مَـنْ ألوذُ بِهِ   سِواكَ عِنْدَ حُلولِ الحـادِثِ العَمِمِ ١٥٣

ولَنْ يَضِـيقَ رسـولَ اللهِ جـاهُكَ بِى   إذا الكريمُ تَـحَلَّى بِاسْـمِ مُنْتَـقِمِ ١٥٤

فَـإنَّ مِـنْ جُـودِكَ الدُّنْيـا وَضُـرَّتَـهـا   وَمِنْ عُلـومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والـقَلَمِ ١٥٥

يا نَـفْسُ لا تَـقْنَطِـى مِنْ زَلَّـةٍ عَظُـمَتْ   إنَّ الكبَـائِرَ فى الغُـفْرانِ كـاللَّمَمِ ١٥٦

= هرم» أى بالمدح الذى أثنى به على هرم بن سنان، وكان يصل زهيـر بالصلات الجزيلة الخارجة عن العادة.

(١٥٣) قـوله «مـا لى من ألوذ به سـواك» أى ليس لى أحـد ألتجـىء إليه غيـرك. وقـوله «عند حلول الحادث العمم» أى عند نزول الحـادث العام، أى الشامل لجميع الخلق، والمراد يوم القـيامة كلاً من الرسل يقول حينئذ «نفسى نفسى»، والنبى ﷺ يقول: «أمتى أمتى».

(١٥٤) الجاه: القدْر والمنزلة، وهو مأخوذ من الوجاهة، وهى رفـعة القدر وسعة المرتبة. وقوله «بى» أى عنى. وقـوله «إذا الكريم تحلى باسـم منتقم» أى وقت كون المولـى اتصف باسم هو «منتـقم» واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة، وذلك الوقت هو يوم القيامة.

(١٥٥) هذا البيت تعليل للبيت قبله، فكأنه قال: وإنما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بى بل يسعنى وغيرى من العصاة؛ لأن من جودك الدنيا إلخ، أى خيرَى الدنيا وضرتها التى هى الآخرة؛ فمن خيـر الدنيا هدايته ﷺ للنـاس، ومن خير الآخرة شـفاعتـه ﷺ فيهم. قـوله «ومن علومك علم اللوح والقلم»: المراد بعلومه ﷺ المعلومات التى أطلعه الله عليـها، والمراد بعلم اللوح والقلم: المعلومات التى كتبها القلم فى اللوح بأمـر الله تعالى فإنه ورد «أول ما خلق الله القلم، فقال: له اكتب، قـال: وما أكتب؟ قال: اكـتب مقادير كل شىء حتى تقـوم الساعة»، واستـشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ بأن من جـملة علم اللوح والقلم الأمور الخمـسة المذكورة فى آخر سورة لقمان ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحـام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾؟، وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كـتب القلم فى اللوح وإلا لاطـلع عليـها مَـن شأنه أن يـطلع على اللوح كـبـعض الملائكة المقـربين، وعلى تسليم أنهـا مما كتب القلم فى اللوح، فـالمراد أن بعض علومـه ﷺ علم اللوح والقلم الذى يطلع عليه المخلوق.

(١٥٦) أصل قوله «يا نفس: يا نفسى»، وقـوله «لا تقنطى» أى لا تيأسى، وقوله «من زلة عظمت» أى من أجل زلة كـبـرت، والأصل: من غـفـران زلة عظمت، والزلة بفـتح الزاى وتشـديد اللام: الذنب. وقـوله «إن الكبائر فى الغـفران كـاللمم» أى إن الذنوب العظام التى ارتكبـتيـها أيتـها النفس فى جانب الغفران، أى بالنسبـة له، كصغار الذنـوب. وفى قـول الناظـم رد على من =

لَعَلَّ رَحْـمَـةَ رَبِّى حين يَقْـسِـمُـهـا ... تَأْتِى عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ فى القِسَمِ ١٥٧

يا رَبِّ واجْعَـلْ رَجائِى غَيْـرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسابِى غَيْرَ مُنْخَرِمِ ١٥٨

والطُفْ بِـعَـبْـدِكَ فى الـدارَيْنِ إنَّ لَهُ ... صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوالُ يَنْهَزِمِ ١٥٩

واْئْذَنْ لِسُـحْبِ صَـلاةٍ مِنْكَ دائِمَـةٍ ... علـى النبِـىِّ بِمُنْـهَلٍّ ومُنْسَـجِمِ ١٦٠

مـا رَنَّحَتْ عَـذَباتُ البـانِ رِيحُ صَـبًـا ... وأطْرَبَ العِـيسَ حادِى العِيسِ بالنَّغَمِ ١٦١

= زعم أن الكبائر ليست كالصغائر، كالمعتزلة، فإنهم يقولون بأن الكبائر لا تغفر، بل مرتكبها يخلد فى النار، والحق مذهب أهل السنة أن الكبائر كالصغائر فى الغفران، وهو الموافق للقرآن(*) وللسنة، وللدليل العقلى.

(١٥٧) أى أرجو أن تكون رحمة ربى تأتى فى القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم؛ فمن حمل من العصيان حملاً صغيراً كان ما يناله من الرحمة شيئاً صغيراً.

(١٥٨) قوله: «يا رب» أصله يا ربى. وقوله «واجعل رجائى» أى اجعل رجائى للرحمة غير منعكس: أى غير خائب، وقوله «لديك» أى عندك، وقوله «اجعل حسابى غير منخرم» أى اجعل ما حسبته، أى ظننته من الجميل فيك، غير ناقص. وفى الحديث حكايةً عن الله تعالى «أنا عند ظنّ عبدى بى: إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر».

(١٥٩) معنى الطف: ارفق، وعنى بالعبد نفسه، واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة والخضوع. وقوله «فى الدارين» أى دارى الدنيا والآخرة، ثم علل ذلك بقوله «إن له صبراً» أى إن لعبدك صبراً لا يثبت، بل متى تدعه الأهوال ينهزم أمامها.

(١٦٠) السحب: جمع سحاب الذى هو الغيم، وإضافة سحب للصلاة من إضافة المشبه به للمشبه، أى للصلاة الشبيهة بالسحب، فى أن كلاً رحمة، وقوله «على النبى» أى سيدنا محمد ﷺ، وقوله «بمنهل ومنسجم» والتقدير بمطر منهل، ومطر منسجم، والمنهل: المنصبّ لشدّته، والمنسجم: السائل لعدم شدّته.

(١٦١) قوله «ما رنحت عذبات البان» إلخ أى مدّة ترنيح عذبات البان إلخ، والترنيح: التميِيل، وعذبات البان: أغصانه، والبان: شجر معروف طيب الرائحة. وقوله «ريح صبا» الريح الشرقية التى تهب صوب باب الكعبة، وإنما سميت بذلك لأنها تصبو أى تميل إليها، وأصول الرياح أربعة الأولى: الصبا، والثانية: الدّبور، وهى الريح الغربية، والثالثة: الشمال، بفتح =

(*) قوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾.

قال الشيخ الباجورى - رحمه الله -:

ويوجد فى بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين، لكن لا بأس بها وهى:

ثُمَّ الرِّضا عن أبى بكرٍ وعَنْ عُمَرٍ وعَنْ علىٍّ وعن عثمانَ ذى الكَرَمِ

والآلِ والصَّحْبِ ثُمَّ التابعينَ فَهُمْ أهْلُ التُّقَى والنَّقا والحِلْمِ والكَرَمِ

يا رَبِّ بالمُصطفَى بَلِّغْ مَقاصدَنا واغْفِرْ لنا ما مَضَى يا واسعَ الكَرَمِ

واغْفِرْ إلهى لكل المسلمين بما يتلون فى المسجد الأقْصَى وفى الحَرَمِ

بجاهِ مَنْ بَيْتُهُ فى طِيبَةٍ حَرَمٌ واسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أعظَمِ القَسَمِ

وهَذِهِ بُرْدَةُ المخْتارِ قَدْ خُتِمَتْ والحَمْدُ لله فِى بدْءٍ وفى خَتَمِ

أبياتُهَا قد أتتْ ستين مَعْ مِائةٍ فَرِّجْ بها كَربَنا يا واسِعَ الكَرَمِ

= الشين، والرابعة: الجنوب بفتح الجيم، وهى الريح القبلية، وقوله «وأطرب العيس» إلخ أى ومدة إطراب العيس إلخ، والإطراب إحداث الطرب، وهو خفة تنشأ عن سرور. والعيس بكسر العين: هى إبل بيض يخالطها شقرة أو حمرة شديدة، وهى من كرام الإبل، والمراد بحادى العيس: سائقها، وقوله «بالنغم» بفتح النون: الصوت الحسن.

وفى هذا البيت والذى قبله براعة الختام وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة، وهى فى الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لأنه آخر ما يبقى فى الأسماع، وربما حُفظ دون غيره لقرب العهد به.

رقم الإيداع	١٧١٠٤ / ٩٨
الترقيم الدولي	I.S.B.N . 977 - 241 - 263 - 2